ـ ﷺ ـ المدينة، فدخلوا عليه في مَسْجِده حين صلى العصر عليهم ثيابُ الحَبَراتِ[1]: جُبَبٌ وأرديَةٌ في جمال رجالِ بني الحرث بن كعب، قال: يقولُ بَعْضُ من رآهم من أصحاب النبي ـ ﷺ ـ يومئذ: ما رأينا وَفْداً مِثْلَهُمْ، وقد حانَتْ صلاتهم، فقاموا في مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ يُصَلُّونَ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «دَعُوهُم» فصلَّوْا إلى المشرق [٤٦١].

قال ابن إسحاق: وكان تسميَةُ الأربعةَ عَشَرَ الذين يئول إليهم أمرهم: العاقب، وهو: عبد المسيح، والسَّيِّد، وهو: الأيهم، وأبو حارثة بن عَلْقَمَة أخو بني بَكْرِ بن وائل، وأَوْسٌ، والحارِثُ، وزَيْدٌ، وقَيْسٌ، ويَزِيدُ، ونُبَيْهٌ، وخُوَيْلِدٌ، وعَمْرٌو، وخَالِدٌ، وعَبْدُ اللَّهِ، ويُحَنَّسُ، في ستين راكباً، فكلَّم رسولَ الله ـ ﷺ ـ [منهم] أبو حارثة بن عَلْقَمَة، والعاقِبُ عبد المسيح، والأيهم السَّيِّد، وهم من النصرانية على دِينِ المَلِكِ مع اختلاف مِنْ أمرهم، يقولون: هُوَ اللَّهُ، ويقولون: هُوَ وَلَدُ الله، ويقولون: هو ثَالِثُ ثلاثةٍ، وكذلك قولُ النصرانية؛ فهم يحتجُّونَ في قولهم: «هُوَ الله» بأنه كان يُحْيي الموتى، ويبرئُ الأسقام، ويخبر بالغيوب، ويَخْلُقُ من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكونُ طائراً، وذلك كلُّه بأمر الله تبارك وتعالى، ولِيَجْعَلَهُ آيةً للناس، ويحتجُّونَ في قولهم: «إِنَّهُ وَلَدُ اللَّهِ» بأنهم يقولون: لم يَكُنْ له أبٌ يُعْلَمُ، وقد تكلَّم في المهد، وهذا لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله، ويحتجون في قولهم: «إنه ثالث ثلاثة» بقول الله: فعلنا، وأمرنا، وخلقنا، وقَضَيْنَا، فيقولون: لو كان واحداً ما قَالَ إلا فَعَلْتُ، وقَضَيْتُ، وأَمَرْتُ، وخَلَقْتُ، ولكنه هو وعيسَى ومريم، ففي كلِّ ذلك مِنْ قولهم قد نزل القرآن، فلما كلمه الْحَبَرانِ قَالَ لهما رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ: «أَسْلِمَا» قالا: قَدْ أَسْلَمْنَا، قال: إِنَّكُمَا لَمْ تُسْلِمَا» قالا: بَلَى قَدْ أسلمنا قبلك، قال: «كَذَبْتُمَا يَمْنَعُكُمَا مِنَ الإِسْلاَمِ: دُعَاؤُكُمَا لِلَّهِ وَلَداً، وَعِبَادَتُكُمَا الصَّلِيبَ، وَأَكْلُكُمَا (١١٩/أ) الْخِنْزِيرَ». قالا: فمن أبوه يا محمد؟! فَصَمَتَ عنهما رسول الله ـ ﷺ ـ فلم يجبْهُمَا،

نزول صدر سورة آل عمران وتفسير غريبه

فأنزل الله تعالى في ذلك مِنْ قولهم واختلافِ أمرهم كلِّه صَدْرَ سورة آل عمران إلى

---

[٤٦١] أخرجه ابن جرير (٣/ ٢٩٨) رقم (٧١٧٧) والبيهقي في الدلائل (٥/ ٣٨٢) كلاهما عن ابن إسحاق وعزاه السيوطي في الدر لابن المنذر.
وذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٦٨) نقلاً عن ابن إسحاق.

---

(١) الحَبراتِ: هي جَمْعُ حَبَرَةٍ، وهي بُرودٌ من بُرود اليَمَن.

بضعٍ وثمانين آية منها، فقال جلَّ وعزَّ (٣: . . .): ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾ فافتتح السورة بتنزيه نفسِهِ عما قالوا، وتوحيدِهِ إياه بالخلقِ والأمرِ لا شَرِيكَ له فيه؛ رَدًّا عليهم ما ابتدعوا مِنَ الكُفْرِ وجعلوا معه من الأندادِ، واحتجاجاً بقولهم عليهم في صَاحِبِهِمْ، ليعرِّفَهُمْ بذلك ضَلالَتَهُمْ، فقال: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ليس معه غيره شريكٌ في أمره، ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ الحَيُّ: الذي لا يَمُوتُ، وقد مات عيسَىٰ، وصُلِبَ في قولهم، وَالْقَيُّومُ: القائمُ علىٰ مكانه مِنْ سلطانه في خلقه لا يَزُولُ، وقد زال عيسَىٰ في قولهم عن مكانه الذي كان بِهِ وذَهَبَ عنه إلى غيره، ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: [بالصِّدْقِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ]، فيما اختلفوا فيه، ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ التوراةَ على موسى، والإنجيلَ على عيسى؛ كما نزل الكتب على مَنْ كان قبله، ﴿وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ﴾ أي: الفَصْلَ بين الحق والباطل فيما اختلف فيه الأحزابُ مِنْ أَمر عيسى وغيره، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ أي: إن الله منتقم مِمَّنْ كَفَرَ بآياتِ الله بعد علمه بها ومَعْرفته بما جاء منه فيها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾ أَيْ: قَدْ عَلِمَ ما يريدون وما يكيدون وما يُضَاهُونَ بقولهم في عيسَى؛ إذ جعلوه إلٰهاً وَرَبًّا وعندهم مِنْ علمهم غَيْرُ ذلك غِرَّةً بالله وكُفراً به، ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ أي: قد كان عيسَىٰ ممن صُوِّر في الأرحام لا يَدْفَعُونَ ذلك ولا يُنْكِرُونَهُ كما صُوِّرَ غيره من ولد آدَمَ، فكيف يكون إلٰهاً وقد كَانَ بذلك المنزل؟! ثم قال تعالى: إنزَاهاً لنفسه وتوحيداً لها مما جعلوا معه: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ العزيز في انتصارِهِ ممَّنْ كَفَرَ به إذا شاء، الحَكِيمُ في حُجَّتِهِ وعُذْرِهِ إلى عباده، ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ فيهن: حُجَّةُ الرب، وعِصْمَةُ العباد، ودَفْعُ الخصوم والباطل، ليس لهن تصريفٌ ولا تحريفٌ عما وُضِعْنَ عليه، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾ لهن تصريفٌ وتأويلٌ، ابْتَلَى الله فيهن العباد، كما ابتلاهم في الحلال والحرام أَلاَّ يُصْرَفْنَ إلى الباطل ولا يُحَرَّفْنَ عن الحق، يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾ أي: مَيْلٌ عن الهدَى، ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾ أي: ما تصرَّف منه ليُصَدِّقُوا به ما ابتدعوا وأحدَثُوا لتكونَ لهم حُجَّة، ولهم على ما قالوا شبهة؛ ﴿ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ أي: اللَّبْسِ، ﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ﴾ ذلك علىٰ ما ركبوا من الضلالة في قولهم: خَلَقْنَا، وقَضَيْنَا، يقول: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ﴾ الذي به أرادوا ما أَرَادُوا ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ فكَيْفَ يختلفُ فيه، وهو قَوْلٌ واحدٌ من ربٍّ واحدٍ ثم رَدّوا تأويلَ المتشابه علىٰ ما عرفوا مِنْ تأويل المحكمة التي لا تأويلَ لأحَدٍ فيها إلا تأويلٌ واحدٌ، فاتَّسَقَ بقولهم الكتابُ وصَدَّقَ بعضُه بعضاً، فَنَفَذَتْ به الحجَّةُ، وظهر به العُذْر، وزاح به الباطل، ودُمِغَ به الكُفْر؛ يقول الله تعالى في مثل هذا: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ رَبَّنَا

﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أي: لا تُمِلْ قلوبَنا وإن مِلْنا بإحداثنا، ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾/ (١١٩/ب) ﴿ثم قال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ بخلاف ما قالوا، ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ أي: بالعَدْل [فيما يريد]، ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ أي: ما أنت عليه يا محمد: التوحيدُ للرَّبِّ، والتصديقُ للرسُل، ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ الذي جاءَكَ، أي: أن اللَّهَ الواحدُ الذي لَيْسَ له شريكٌ، ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ أي: بما يَأْتُونَ به من الباطل: من قولهم: خَلَقْنَا، وفَعَلْنَا، وأمَرْنَا، فإنما هي شبهةُ باطلٍ قد عرفوا ما فيها من الحقِّ، ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ أي: وحده، ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾ الذين لا كتابَ لهم، ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾، ثم جمع أهلَ الكتابَيْن جميعاً، وذَكَرَ ما أَحْدَثُوا، وما ابتدعوا، من اليهود والنصارىٰ، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ . . .﴾ إلى قوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ أي: رَبَّ العباد والمُلْكِ الذي لا يَقْضِي فيهم غيره، ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ أي: لا إلى غيرك، ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: لا يَقْدِرُ على هذا غَيْرُكَ بسلطانك وقدرتك، ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ بتلك القدرة، ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ لا يقدر على ذلك غَيْرُكَ، ولا يصنعه إلاَّ أَنْتَ، أي: فإنْ كُنْتَ سَلَّطْتَ عيسى على الأشياءِ التي بها يزعمون أنه إلٰه: مِنْ إحياء الموتَىٰ، وإبراء الأسقام، والخَلْق للطير من الطين، والإخبارِ عن الغيوب؛ لأَجْعَلَهُ به آيةً للناس وتَصْديقاً له في نبوَّته التي بعثتُه بها إلى قومه؛ فإنَّ من سلطاني وقدرتي ما لم أعطه: تمليكُ الملوك، وأمْرُ النبوة ووضْعُهَا حيثُ شئتُ، وإيلاجُ الليل في النهار والنهارِ في الليل، وإخراجُ الحيِّ من الميت، وإخراجُ الميتِ من الحيِّ، ورزقُ مَنْ شئت من برٍّ أو فاجر بغير حساب؛ فكلُّ ذلك لم أسلطْ عيسَىٰ عليه، ولم أُمْلِكْهُ إياه؛ أفلم تَكُنْ لهم في ذلك عبرةٌ وبينةٌ أن لو كان إلهاً كان ذلك كله إليه؟! وهو في علمهم يَهْرُبُ من الملوك، وينتقل منهم في البلاد من بلد إلى بلد.

ثم وَعَظَ المؤمنين وحَذَرَهُمْ، ثم قال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ أي: إن كانَ هَذَا مِنْ قولكم حقًّا حُبًّا لله وتعظيماً له، ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أي: ما مَضَى من كفركم، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن﴾ فأنتم تعرفونه وتَجِدُونه في كتابكم، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أي: على كفرهم، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾.

ثم استقبل لهم أَمْرَ عيسَىٰ وكَيْفَ كان بُدُوُّ ما أراد الله به، فقال: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ

وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ، ثم ذكر أمر امرأة عمران في قولها: ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾ أي: نذرته فجعلتُهُ عتيقاً تَعبُدُهُ الله لا ينتفعُ به لشيْءٍ من الدنيا، ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾/ (١٢٠/أ) أي: ليس الذكَرُ كالأنثى لما جعلتها محرَّراً له نذيرةً، ﴿وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ بعد أبيها وأمها.

قال ابن إسحاق: فذكرها باليُتْم.

قال ابن هشام: كَفَّلَهَا: ضَمَّها.

قال ابن إسحاق: ثم قَصَّ خبرها وخبرَ زكريَّا، وما دعا به، وما أعْطَاهُ إذ وَهَبَ له يحيَىٰ، ثم ذَكَرَ مريَمَ وقولَ الملائكةِ لها: ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾؛ يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ أي: ما كنتَ معهم؛ ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾.

قال ابن هشام: أقلامَهُمْ: سِهَامَهُمْ، يعني: قداحهم التي استَهَمُوا [بها] عليها، فخرج قِدْحُ زكريا فَضَمَّهَا فيما قال الحَسَنُ بن أبي الحسن البصري.

قال ابن إسحاق: كَفَّلها ههنا جُرَيْجٌ الرَّاهِبُ رجلٌ من بني إسرائيل نَجَّارٌ خَرَجَ السَّهْمُ عليه بِحَمْلِهَا فحملها، وكان زكريَّا قد كفلَّها قبل ذلك؛ فأصابَتْ بني إسرائيل أَزْمَةٌ شديدةٌ؛ فعَجَزَ زكريا عن حَمْلها، فاستَهَمُوا عليها أيُّهُم يكفلها، فَخَرجَ السهم على جُرَيْجٍ الراهبِ بكفولها فكفلها.

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ أي: ما كنتَ معهم إذ يختصمون فيها، يخبره بخفيِّ ما كتموا منه مِنَ الْعِلْمِ عندهم لتحقيق نبوته، والحجة عليهم بما يأتيهم به مما أَخْفَوْا منه، ثم قال: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ أي: هكذا كان أمره لا ما يقولون فيه، ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: عند الله، ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ يخبرهم بحالته الَّتي يتقلَّب فيها في عمره كتقلُّب بني آدم في أعمارهم صغاراً وكباراً، إلاَّ أن الله خَصَّهُ بالكَلاَمِ في مهده؛ آيةً لنبوَّته وتعريفاً للعباد بمواقِعِ قدرته، ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ أي: يصنَعُ ما أراد ويخلُقُ ما يشاء من بشرٍ أو غيرِ بشرٍ، ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ مما يشاءُ وكَيْفَ شاءَ فيكونُ كما أراد، ثم أخبرها بما يريد به؛ فقال: ﴿وَيُعَلِّمُهُ

﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ التي كانَتْ فيهم من عهد موسَىٰ قبله، ﴿وَٱلْإِنجِيلَ﴾ كتاباً آخَرَاً أحدثه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ إليه لم يَكُنْ عندهم إلا ذِكْرُهُ أنه كائنٌ من الأنبياء بعده، ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: يحقِّقُ بها نبوتي أنِّي رسولٌ منه إليكم، ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ الذي بعثني إليكُمْ وهو ربِّي وربُّكُمْ، ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾.

قال ابن هشام؛ والأَكْمَهُ: الذي يولد أعمى؛ قال رؤبة بن العجاج [من الرجز]:

* هَزَّجْتُ فَارْتَدَّ ارْتِدَادَ الأَكْمَهِ *[1]

قال ابن هشام: هَزَّجْتُ: صِحْتُ بالأسدِ وجَلَبْتُ عليه، وهذا البيت في أرجوزة له، وجمعه: كُمْهٌ.

أنِّي رسولٌ من «﴿وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ﴾ الله إليكم، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ أي: لما سَبَقَني منها، ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: أخبركم به أنه كان عليكم حراماً، فتركتموه، ثم أحلَّه لكم تخفيفاً عنكم، فتصيبُونَ يُسْرَهُ وتخرجون من تباعاته، ﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾ أي: تَبَرِّياً من الذي يقولون فيه، واحتجاجاً لربِّه عليهم، ﴿فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ أي: هذا الذي/ (١٢٠/ب) قد حَمَلْتُكُمْ عليه وجئتكم به، ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ والعدوانَ عليه، ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ وهذا قولهم الذي أصابوا به الفَضْلَ من ربِّهم، ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ لا ما يقولُ هؤلاءِ الذين يحاجُّونك فيه، ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ أي: هكذا كان قولُهُمْ وإيمانُهُمْ.

ثم ذكر رفعه عيسَى إليه حين اجتمعوا لقتله، فقال: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ ثم أخبرهم وردَّ عليهم فيما أقرُّوا لليهودِ بصَلْبه كيف رَفَعه وطهَّره منهم، فقال: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ إذ هَمُّوا منك بما هَمُّوا، ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ثم القصَّة حتى انتهى إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنَ ٱلْـَٔايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ القاطِعِ الفاصلِ الحقَّ

---

(١) هَزَّجت: من رواه بالزاي، فمعناه: زجرت ومَن رواه هَرَّجْت بالراء مُشَدَّدة، فمعناه: حَرَّكت، والأَكْمَهُ: قد فَسَّرهُ ابن هشام. وينظر: ديوانه ص ١٦٦؛ ولسان العرب ٢/ ٣٩٠ (هرج)، ١٣/ ٤٨٢ (تهته)، ١٣/ ٥٣٦ (كمه)؛ تاج العروس ٦/ ٢٧٦ (هرج)، (تهته)؛ وتهذيب اللغة ٥/ ٣٥٩، ٦/ ٤٨؛ وجمهرة اللغة ص ٩٤، ١٨٥؛ وبلا نسبة في لسان العرب ١٣/ ٤٨٦ (جهجه)؛ وتهذيب اللغة ٦/ ٢٩؛ وجمهرة اللغة ص ٤٦٩، ٩٨٤؛ وتاج العروس (جهجه).

الذي لا يخالطه الباطلِ من الخبر عن عيسَى، وعما اختلفوا فيه من أمره، فلا تَقْبَلَنَّ خبراً غيره، ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فاستمعْ ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: ما جَاءكَ من الخبر عن عيسى، ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ أي: قد جاءك الحَقُّ من ربِّك فلا تَمْتَرِيَنَّ فيه، وإنْ قالوا: خلق عِيسَى من غير ذِكْرٍ، فقد خلقْتُ آدم من ترابٍ بتلك القدرة من غير أنثَى ولا ذَكَرٍ؛ فكان كما كان عيسى لحماً ودماً وشَعْراً وبَشَراً؛ فليس خلق عيسى من غير ذَكَرٍ بأعجبَ من هذا، ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أي: مِنْ بعد ما قَصَصْتُ عليك من خبره وكيف كان أمره، ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

قال ابن هشام: قال أبو عُبَيْدَةَ: نبتهلْ: نَدْعو باللعنة؛ قال أعشى بني قَيْس بن ثَعْلَبَة [من البسيط]:

لاَ تَقْعُدَنَّ وَقَدْ أَكْلَتْهَا حَطَباً ... تَعُوذُ مِنْ شَرِّهَا يَوْماً وَتَبْتَهِلُ[1]

وهذا البيت في قصيدة له.

نبتهل: نتضرَّع؛ يقول: تدعو باللعنة، وتقولُ العرب: بَهَلَ اللَّهُ فُلاَناً، أي: لعنه الله، وعليه بَهْلَةُ الله، أي: لعنة الله.

قال ابن هشام: ويقال: بُهْلَةُ اللَّهِ، أي: لعنة الله، ونبتهل أيضاً: نجتهد في الدعاء.

قال ابن إسحاق: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي جئْتُ به من الخبر عن عيسى ﴿لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ من أمره، ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ فدعاهم إلى النَّصَفِ، وَقَطَعَ عنهم الْحُجَّةَ.

فلما أَتىٰ رسولَ الله ـ ﷺ ـ الخَبَرُ من الله عزَّ وجلَّ ـ عنه والفَصْلُ مِنَ القضاء بينه وبينهم، وأُمِرَ بما أمر به مِنْ مُلاَعَنَتِهِمْ إن رَدُّوا ذلك عليه، دعاهم إلى ذلك، فقالوا له: يا أبا القاسم، دَعْنَا نَنْظُرْ في أمرنا ثم نأتيكَ بِمَا نريدُ أن نَفْعَلَ فيما دَعَوتَنَا إليه، فانصرَفُوا عنه، ثم خَلَوْا بالعَاقِبِ ـ وكان ذا رأيهم ـ فقالوا: يا عَبْدَ المسيح، ماذا ترى؟ فقال: واللَّهِ يا معشَرَ النصارَى، لقد عرفتُمْ إنَّ محمداً لَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ، ولقد جاءكم بالفَصْلِ مِنْ خبر صاحبكم، ولقد علمتم مَا لاَعَنَ قَوْمٌ نبيًّا قطُّ فَبَقِيَ كبيرُهُمْ ولا نَبَتَ صغيرُهُمْ، وإنه

---

(١) ينظر: ديوانه ص (١٣٤).

للاستئصَالُ منكم إنْ فعلتم، فإنْ كنتم قد أبيتُمْ إلا إلْفَ دينكم والإقامَةَ على ما أنتم عليه مِنَ القول في صاحبكم، فوَادِعُوا الرجلَ، ثم انصرِفُوا إلى بلادكم، فَأتَوْا رسولَ الله ـ ﷺ ـ فقالوا: يا أبا القاسم، قد رَأَيْنَا أَلاَّ نلاعنَكَ، وأن نتركَكَ على دينك، ونرجعَ عَلَىٰ ديننا، ولكن ٱبْعَثْ/ (١٢١/ أ) معنا رجلاً من أصحابك ترضَاهُ لنا يحكُمُ بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا، فإنكم عندنا رضاً، قال محمد ابن جعفر: فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ٱئْتُونِي الْعَشِيَّةَ أَبْعَثْ مَعَكُمُ الْقَوِيَّ الأَمِينَ» قال: فكان عُمَر بن الخطاب يَقُولُ: ما أَحْبَبْتُ الإِمارَةَ قَطُّ حُبِّي إِيَّاهَا يومئذٍ، رَجَاءَ أَنْ أَكُونَ صاحبها، فَرُحْتُ إلى الظُّهْرِ مُهَجِّراً، فلَّما صلَّىٰ بنا رسولُ الله ـ ﷺ ـ الظهرَ سَلَّمَ ثُم نظر عَنْ يمينه ويساره، فجعلتُ أَتَطَاوَلُ له ليراني، فلم يزلْ يَلْتمِسُ بِبَصَرِهِ حتى رأَىٰ أبا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ، فدعاه، فقال: «ٱخْرُجْ مَعَهُمْ فَٱقْضِ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ فيما ٱخْتَلَفُوا فِيهِ» قال عمر: فَذَهَبَ بها أبو عبيدة [٤٦٢].

بعض أخبار المنافقين

قال ابن إسحاق: وقَدِمَ رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة ـ كما حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة ـ وسيدُ أهلها عبدُ الله بْنُ أبيٍّ ٱبْنُ سلولَ الْعَوْفِيُّ، ثم أحدُ بني الْحُبْلَىٰ، لا يختلفُ عليه في شرفه من قومه اثنان، لم تجتمع الأوسُ والخزرجُ قبله ولا بعده علىٰ رجلٍ من أحد الفريقَيْنِ حتَّى جاء الإسلامُ، غَيْرَهُ، ومَعَهُ في الأوسِ رجلٌ هو في قومه من الأوس شريفٌ مُطَاعٌ: أبو عامر عبدُ عَمْرِو بْنُ صَيْفِيِّ بن النُّعْمَانِ أحدُ بني ضُبَيْعَةَ بن زيدٍ، وهو أبو حَنْظَلَةَ الغَسِيلُ يوم أحد، وكان قَدْ تَرَهَّبَ في الجاهِلِيَّةِ، وَلَبِسَ الْمُسُوحَ، وكان يقال له: الراهبُ، فشَقِيَا بشرفهما وضَرَّهما.

حال عبد الله بن أبي ابن سلول

قال: فأما عبد الله بن أبيٍّ فكان قومُهُ قد نظموا له الْخَرَزَ ليتوِّجُوهُ ثم يُمَلِّكُوهُ عليهم، فجاءهم الله تعالى برسوله ـ ﷺ ـ وهم على ذلك، فلما انصرَفَ قومه عنه إلى الإسلام،

---

[٤٦٢] أخرجه البخاري (٨/ ٤٢٧) كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران الحديث (٤٣٨٠).
ومسلم (٨/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦) كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي عبيدة الحديث (٢٤٢٠).
والترمذي (٥/ ٦٦٧) كتاب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي عبيدة الحديث (٣٧٩٦). وابن ماجه (١/ ٤٨) المقدمة، باب فضل أبي عبيدة الحديث (١٣٥) وأحمد في المسند (٥/ ٣٩٨، ٤٠٠)، والطحاوي في المشكل (٣/ ٢٠١)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ١٧٦)، والبيهقي في الدلائل (٥/ ٣٩٢)، وابن سعد في الطبقات (٣/ ٤١٢).
كلهم من حديث حذيفة.

ضَغِنَ[1] ورأى أن رسول الله ـ ﷺ ـ قد استلَبَهُ مُلْكاً، فلما أن رأى قومه قَدْ أَبَوْا إلا الإسلامَ دَخَلَ فيه كارهاً مُصِرًّا على نفاقٍ وضِغْنٍ.

حال أبي عامر بن صيفي

وأما أبو عامرٍ فأَبىٰ إلا الكفرَ والفِرَاقَ لقومه، حين اجتمعوا على الإسلام، فخرج منهم إلى مكَّة ببضعَةَ عَشَرَ رجلاً مفارقاً للإسلام ولرسول الله ـ ﷺ ـ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ كما حدَّثني محمد بن أبي أمامة، عن بعضِ آلِ حنظلة بن أبي عامر ـ: «لا تَقُولُوا الرَّاهِبُ، وَلٰكِنْ قُولُوا الْفَاسِقُ» [٤٦٣].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني جعفر بن عبد الله بن أبي الحَكَم، وكان قد أدرك وسَمِعَ، وكان رَاوِيَةً، أن أبا عامرٍ أتىٰ رسول الله ـ ﷺ ـ حِينَ قَدِمَ المدينة ـ قبل أن يخرج إلى مكَّة، فقال: ما هذا الدينُ الذي جئتَ به؟ فقال: «جِئْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ دِينِ إِبْرَاهِيمَ» قَالَ: فأنا عليها، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ: «إِنَّكَ لَسْتَ عَلَيْهَا» قَالَ: بَلَىٰ، إِنَّكَ أَدْخَلْتَ يا مُحَمَّدُ في الْحَنِيفِيَّةِ ما لَيْسَ منها، قال: «مَا فَعَلْتُ وَلٰكِنِّي جِئْتُ بها بَيْضَاءَ نَقِيَّةً» قال: الكَاذِبُ أماتَهُ الله طريداً غريباً وحيداً؛ يُعَرِّضُ برسول الله ـ ﷺ ـ أي: إنك ما جئتَ بها كذلك، قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أَجَلْ، فَمَنْ كَذَبَ فَفَعَلَ اللَّهُ تعالى ذَلِكَ بِهِ».

فكان هو ذلك عَدُوَّ الله: خرج إلى مكَّة، فلما افتتح رسول الله ـ ﷺ ـ مكَّة خرج إلى الطائف، فلما أسلَمَ أَهْلُ الطائف لَحِقَ بالشأم، فمات بها طريداً غريباً وحيداً.

وكان قد خَرَجَ معه عَلْقَمَة بن عُلاثَةَ بن عَوْف بن الأحْوَص بن جَعْفَر بن كِلاَب، وكِنانَةُ بن عبدِ يَالِيلَ بن عَمْرو بن عُمَيْرٍ الثَّقَفِيّ، فلما مات اختصما في ميراثه إلى قَيْصَرَ صاحب الروم، فقال قَيْصَرُ: يَرِثُ أَهْلَ المَدَرِ[2] (١٢١/ب) أَهْلَ المَدَرِ، ويرثُ أهلُ الوبر[3] أهلَ الوبر، فَوَرِثَهُ كنانةُ بن عبد يَالِيل بالمدر، دون علقمة، فقال كَعْبُ بن مالك لأبي عامر فيما صنع [من الوافر]:

مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ عَمَلٍ خَبِيثٍ ... كَسَعْيِكَ فِي الْعَشِيرَةِ عَبْدَ عَمْرِو

---

[٤٦٣] هذا إسناد ضعيف لجهالة شيخ ابن أبي أمامة؛ وابن أبي أمامة هو محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ثقة كما قال الحافظ في التقريب (٢/١٤٦) واسم أبي أمامة سعد وقيل أسعد.

---

(١) ضَغَن، معناه: اعتقد العداوة.

(٢) أهل المَدَر: هم أهل الحاضرة.

(٣) أهل الوبر: هم أهل البادية.

فَـإِمَّـا قُـلْـتَ: لِـي شَـرَفٌ وَنَـخْـلٌ فَـقِـدْمـاً بِـعْـتَ إِيـمَـانـاً بِـكُـفْـرِ

قال ابن هشام: ويروَىٰ [من الوافر]:

فَـإِمَّـا قُـلْـتَ: لِـي شَـرَفٌ وَمَـالٌ ....

قال ابن إسحاق: وأما عبد الله بن أبي فأقام على شَرَفِهِ في قومه مُتَرَدِّداً حتى غلبه الإسلامُ، فدخل فيه كارهاً [٤٦٤].

مرور رسول الله على ابن أبي وما دار بينهما

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن مُسْلِم الزُّهْرِيُّ، عن عروة بن الزبير، عن أسامة بن زيد بن حارثة حِبِّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: رَكِبَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ إلى سَعْد بن عُبَادَةَ يعوده من شَكْوِ أصابه، على حِمَارٍ عليه إِكَافٌ[1] فوقه قطيفة[2] فَدَكِيَّة[3] مُخْتَطِمَة[4] بحبل من لِيفٍ[5]، وأردفني رسولُ الله ـ ﷺ ـ خلفه، قال: فَمَرَّ بعدو الله ابن أبي وهو في ظِلِّ «مُزَاحِمٍ» أُطُمِهِ[6].

قال ابن هشام: مُزَاحِمٌ: اسمٌ لأطمه.

قال ابن إسحاق: وحَوْلَهُ رجال من قومه، فلما رآه رسول الله ـ ﷺ ـ تَذَمَّم[7] مِنْ أن يجاوزه حتى ينزل، فَنَزَلَ، فسلَّم ثم جلس قليلاً، فتلا القرآن، ودعا إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ

---

[٤٦٤] أخرجه أبو نعيم في دلائله (١/ ٨٠ ـ ٨١) رقم (٤١) من طريق ابن إسحاق عن محمد بن جعفر.
وروى أحمد (١/ ٢٣٦) والطبراني في الكبير (١١/ ٢٢٧) رقم (١١٥٧١، ١١٥٧٢).
والبخاري في الأدب المفرد رقم (٢٨٣).
كلهم من طريق ابن إسحاق عن داود بن حصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: سئل النبي ـ ﷺ ـ أي الأديان أحب إلى الله عز وجل: قال الحنيفية السمحة».
قال الهيثمي في المجمع (١/ ٥٠):
«رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط والبزار وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ولم يصرح بالسماع».

---

(١) الإكاف: البردَعة بأداتها، ويقال: الوكاف بالواو.
(٢) القَطِيفَةُ: الشَّمْلَةُ.
(٣) فَدَكِيَّةٌ، أي: مَنْسوبة إلى فَدَك، وهو موضِعٌ.
(٤) الاخْتِطام: أنْ يُجْعَل على رأس الدابّة وأنفها حَبْلٌ يُمْسَك به.
(٥) اللِّيف: ليفُ النَّخل وهو ما يَلْتَفُ على الجريد.
(٦) الأُطُمُ: الحِصْنُ.
(٧) تَذَمَّمَ، أي: خرج مِنَ الذَّمِّ كما يُقال: تَحَنَّثَ وتَأَثَّم: إذا خرج من الحِنْثِ والإثم.

وذكّر بالله، وحذّر وبشّر وأنذر، قال: وهو زَامٌ[1] لا يتكلّم، حتى إذا فرغ رسول الله ـ ﷺ ـ من مقالته قال: يا هذا، إنه لا أَحْسَنَ مِنْ حديثك هذا: إن كان حقًّا فاجلس في بيتك فَمَنْ جاءك له فحدّثه إياه، ومَنْ لم يَأْتِكَ فلا تَغُثَّه[2] به ولا تأته في مجلسه بما يَكْرَهُ منه، قال: فقال عبد الله بن رَوَاحَةَ في رجالٍ كانوا عنده من المسلمين: بَلَىٰ، فَاغْشَنَا به، وائْتِنَا به في مجالسنا ودُورِنَا وبيوتنا، فهو واللَّهِ ممَّا نُحِبُّ، ومما أَكْرَمَنَا اللَّهُ به وهدانا له، فقال عبد الله بن أُبَيٍّ حين رأى مِنْ خلاف قومه ما رأى [من الطويل]:

مَتَىٰ مَا يَكُنْ مَوْلاَكَ خَصْمَكَ لاَ تَزَلْ ... تَذِلُّ وَيَضْرَعْكَ الَّذِينَ تُصَارِعُ

وَهَلْ يَنْهَضُ الْبَازِي بِغَيْرِ جَنَاحِهِ؟ ... وَإِن جُذَّ يَوْماً رِيشُهُ فَهْوَ وَاقِعُ

قال ابن هشام: البيت الثاني عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وحدّثني الزهريُّ، عن عروة بن الزبير، عن أسامة [ابن زيد]، قال: وقام رسولُ الله ـ ﷺ ـ فَدَخَلَ علىٰ سَعْد بن عُبَادَةَ وفي وجهه ما قال عَدُوُّ الله ابْنَ أُبَيٍّ، فقال: والله يا رسول الله، إني لأَرَىٰ في وجهك شيئاً لكأنَّكَ سمعتَ شيئاً تكرهه، فقال: «أَجَلْ» ثم أخبره بما قال ابنُ أبي، فقال سعد: يا رَسُولَ الله ارْفُقْ به، فوالله لقد جاءنا اللَّهُ بك وإنَّا لَنَنْظِمُ له الْخَرَزَ لنتوّجَهُ، وإنه ليرى أن قَدْ سَلَبَتْه مُلْكاً [٤٦٥].

ذِكْرُ مَنِ اعْتَلَّ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ

مرض أبي بكر وعامر بن فهيرة وبلال

قال ابن إسحاق: وحدّثني هشام بن عُرْوة، وعمرو[3] بن عبد الله بن عُرْوَةَ، عن

---

[٤٦٥] أخرجه أحمد (٥/ ٢٠٣)

والبخاري (١١/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣) كتاب المرضى، باب عيادة المريض الحديث (٥٦٦٣) ورواه برقم (٦٢٠٧) ومسلم (٦/ ٣٩٨) كتاب الجهاد والسير، باب في دعاء النبي ـ ﷺ ـ وصبره على أذى المنافقين الحديث (١٧٩٨)، وعبد الرزاق (٥/ ٤٩٠) رقم (٩٧٨٤) والبغوي في شرح السنة (٦/ ٣٤١ ـ ٣٤٢) رقم (٣٢٠٨) كلهم من غير طريق ابن إسحاق ودون ما قال ابن أبي من الشعر.

---

(١) زَامٌ: ساكت، وهو بالزاي.

(٢) فلا تَغُثَّهُ معناه: لا تُكثر، يقال: غَثَّ الرجلُ القولَ القولَ وغَثَّ الرجلُ الشرابَ الشرابَ: إذا أَتْبع بعضه بعضاً، وقد يكون معناه: لا تُعَذِّبْه به، يُقال: غَثَّهم الله بِعَذابٍ أي: غَطَّاهم به، ويُرْوى: فلا تُغِثْه به، أي: لا تأتِه به.

(٣) وحدّثني هشام بن عُروة وعمرو بن عبد الله بن عُروة عن عُروة: كذا رُوي هنا، ورُوي أيضاً وعُمر بن عبد الله بن عُروة وهو الصواب، وكذلك أصْلَحه البُخارِيُّ في التاريخ.

عروة بن الزُّبَيْر، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالَتْ: لمَّا قَدِمَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ المدينَةَ قَدِمَها وهي أَوْبَأُ أرضِ الله من الْحُمَّى؛ فأصاب أصحابَهُ منها بَلاءٌ وسَقَمٌ، وصَرَفَ اللَّهُ تَعَالىٰ ذلك عن نبيه ـ ﷺ ـ قالت: فكان أبو بَكْر وعامر بن فُهَيْرَةَ وبلالٌ مَوْلَيَا أبي بكر مع أبي بكر في بَيْتٍ واحدٍ، فأصابتهم الحُمَّى، فدخلتُ عليهم أُعودُهُمْ، وذلك قبل أن يُضْرَبَ علينا الحِجابُ/ (١٢٢/أ)، وبهم ما لا يعلمه إلا اللَّهُ مِنْ شدَّةِ الوَعْكِ[١]، فَدَنَوْتُ من أبي بَكْرٍ، فقلت له: كَيْفَ تَجِدُكَ يَا أَبَتِ؟ فقال [من الرجز]:

كُـلُّ امْـرِىءٍ مُـصَـبَّـحٌ فِـي أَهْـلِـهِ ... والْـمَـوْتُ أَدْنَـى مِـنْ شِـرَاكِ نَـعْـلِـهِ[٢]

قالت: فقلت: والله ما يدري أبي ما يقول، قالَتْ: ثم دَنَوْتُ إلى عامر بن فُهَيْرة، فقلت له: كَيْفَ تَجِدُكَ يا عامر؟ فقال [من الرجز]:

لَـقَـدْ وَجَـدْتُ الْـمَـوْتَ قَـبْـلَ ذَوْقِـهِ ... إِنَّ الْـجَـبَـانَ حَـتْـفُـهُ مِـنْ فَـوْقِـهِ
كُـلُّ امْـرِىءٍ مُـجَـاهِـدٌ بِـطَـوْقِـهِ ... كَـالـثَّـوْرِ يَـحْـمِـي جِـلْـدَهُ بِـرَوْقِـهِ[٣]

تريد: طاقته فيما قال ابن هشام.

قالت: فقلتُ: واللَّهِ ما يدري عامرٌ ما يقول، قالَتْ: وكان بلالٌ إذا تركته الحُمَّى اضطجع بفناء البيت، ثم رفع عقيرته[٤]، فقال [من الطويل]:

أَلاَ لَـيْـتَ شِـعْـرِي هَـلْ أَبِـيـتَـنَّ لَـيْـلَـةً ... بِـفَـخٍّ وَحَـوْلِـي إِذْخِـرٌ وَجَـلِـيـلُ؟[٥]
وَهَـلْ أَرِدَنْ يَـوْمـاً مِـيَـاهَ مَـجَـنَّـةٍ؟ ... وهَـلْ يَبْـدُوَنْ لِـي شَـامَـةٌ وَطَـفِـيـلُ؟[٦]

قال ابن هشام: شَامَةٌ وطَفِيلٌ: جَبَلاَنِ بمكة.

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: فذكَرْتُ لرسول الله ـ ﷺ ـ ما سمعْتُ منهم، فقلتُ: إنهم لَيَهْذُونَ وما يَعقِلُونَ من شدة الحمى، قالت: فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ

---

(١) الوَعْكُ: شِدَّةُ أَلَم المَرَض، يقال: وعَكَتْهُ الحُمَّى: إذا بالَغَتْ.
(٢) ينظر: البداية والنهاية (٣/ ٢٧٠).
(٣) الطَّوْق هنا: الطاقة والقُوَّة. والرَّوْق: القَرْن. وينظر: البداية والنهاية (٣/ ٢٧٠).
(٤) ثم رَفَعَ عقيرَتَه، يعني: صَوْته.
(٥) فخ هنا: موضع رُوِي هنا بالخاء المعجمة وبالجيم. وقال أبو حَنيفة اللُّغَويُّ: فَخٌّ بالخاء المعجمة موضعٌ خارِجَ مكَّة فيه مُوَيْهٌ، والإذْخِرُ: نباتٌ طَيِّبُ الرَّائحةِ، والجَليل هنا: هو الثُّمام، وهو نباتٌ له خوص والخُوصُ: وَرَقُ الدُّوم، ومِجَنَّةُ: مَوْضِعٌ.
ويروى عجز البيت هكذا:

.... بِـوَادٍ وحَـوْلِـي إِذْخِـرٌ وَجَـلِـيـلُ

ينظر: البداية والنهاية (٣/ ٢٦٩).
(٦) مجَنَّةُ: موضع، وشَامَةٌ وطفيل، قال ابنُ هشام: هما جَبَلان.

إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وبَارِكْ لَنَا في مُدِّهَا وَصَاعِهَا، وَانْقُلْ وَبَاءَهَا إِلَى مَهْيَعَةَ» ومهيعةُ: الْجُحْفَةُ [٤٦٦].

قال ابن إسحاق: وذكر ابن شهاب الزهريُّ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص؛ أن رسول الله ـ ﷺ ـ لما قَدِمَ المدينة هو وأصحابه أصابَتْهمْ حُمَّى المدينةِ حتَّى جُهِدُوا مَرَضاً، وصَرَفَ الله تعالى ذلك عن نبيه ـ ﷺ ـ حتى كانوا ما يُصَلُّونَ إلا وهم قُعُود.

قال: فَخَرَجَ عليهم رسول الله ـ ﷺ ـ وهم يُصَلُّونَ كذلك، فقال لهم: «اعْلَمُوا أَنَّ صَلاَةَ الْقَاعِدِ عَلَى النِّصْف مِنْ صَلاَةِ الْقَائِمِ». قال: فَتَجَشَّم[1] المسلمون القيام على ما بهم من الضَّعْفِ والسَّقَمِ؛ التماسَ الفَضْل.

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ـ ﷺ ـ تَهيَّأ لحربه وقام فيما أمره الله به مِنْ جِهاد عَدُوِّهِ، وقِتَالِ مَنْ أمره الله به مِمَّنْ يليه من المشركين مُشْرِكي العرب، وذلك بعد أن بعثه الله تعالَىٰ بثلاث عشرة سنة [٤٦٧].

---

[٤٦٦] أخرجه البخاري (٧/ ٦٧٨) كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبي ـ ﷺ ـ المدينة الحديث (٣٩٢٦) وأطرافه في (١٨٨٩، ٥٦٥٤، ٥٦٧٧، ٦٣٧٢) ورواه مسلم (٢/ ١٠٠٣) كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة، الحديث (١٣٧٦).
ومالك في الموطأ (٢/ ٨٩٠) في الجامع، باب ما جاء في وباء المدينة، وابن حبان في صحيحه (٩/ ٤٠ ـ ٤١) رقم (٣٧٢٤) وأحمد في مسنده (٦/ ٥٦، ٢٣٩ ـ ٢٤٠، ٢٦٠) والنسائي في الكبرى (٤/ ٣٦١) كتاب الطب، باب الذهاب بالصبي المريض يدعو له، الحديث (٧٥١٩).
وانظر تحفة الأشراف (١٢/ ١٩٥) رقم (١٧١٥٨).
والبيهقي في سننه (٣/ ٣٨٢) كتاب الجنائز، باب قول العائد للمريض كيف نجدك.
والبغوي في شرح السنة (٤/ ١٩٢ ـ ١٩٣) رقم (٢٠٠٦ ـ بتحقيقنا).

[٤٦٧] نقله ابن كثير في البداية والنهاية، (٣/ ٢٧٢) عن ابن إسحاق.
والحديث رواه مسلم في صحيحه (٣/ ٢٦٦) كتاب صلاة المسافرين، باب جواز النافلة قائماً وقاعداً الحديث (٧٣٥).
وأبو داود (١/ ٢٥٠) كتاب الصلاة، باب في صلاة القاعد، الحديث (٩٥٠)، والنسائي (٣/ ٢٢٣) كتاب قيام الليل، باب فضل صلاة القائم على القاعد.
وابن ماجه (١/ ٣٨٨) كتاب إقامة الصلاة، باب صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم، الحديث (١٢٢٩).
وأحمد في المسند (٢/ ١٩٢ ـ ١٩٣). ورواه عبد الرزاق (٢/ ٤٧٢) رقم (٤١٢٢، ٤١٢٣). وابن خزيمة (٢/ ٢٣٦) رقم (١٢٣٧). والبيهقي في سننه (٢/ ٤٩١) كتاب الصلاة، باب فضل صلاة القائم على صلاة القاعد.
والبغوي في شرح السنة (٢/ ٥٠٥) رقم (٩٧٩ ـ بتحقيقنا).

---

(١) تجشَّمَ: تكلَّفَ.

بالإسنادِ المتقدِّم عن عبد الملك بن هشام قال: حدَّثنا زياد بن عَبْد الله الْبَكَّائِيُّ، عن محمد بن إسحاق المطلبيِّ، قال:

قَدِمَ رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة يوم الاثنينِ حين اشتدَّ الضَّحَاءُ، وكادت الشمس تعتدلُ، لِاثْنَيْ عَشْرَةَ لَيلةً مضتْ من شهر ربيع الأول، وهو التاريخ فيما قال ابن هشام [٤٦٨].

مدة إقامة النبي بالمدينة من غير حرب

قال ابن إسحاق: ورسولُ الله ـ ﷺ ـ يومئذٍ ابنُ ثلاثٍ وخمسين سنةً، وذلك بعد أن بعثه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بِثَلاَثَ عَشْرَةَ سَنَةً، فأقام بها بقية شهر ربيع الأول، وشَهْرِ ربيع الآخر، وجُمَادَيَيْنِ، وَرَجَباً، وشَعْبانَ، وشَهْرَ رمضان، وشَوَّالاً، وذا القَعْدة، وذا الحِجَّة، وَوَلِيَ تلك الحجة المشركون، والمحرَّمَ.

أوّل والٍ على المدينة

ثم خرج غازياً في صَفَرٍ على رأس اثني عشر شهراً من مَقْدَمِهِ المدينةَ [٤٦٩].

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة سَعْدَ بن عُبَادَةَ.

غزوة ودَّانَ

وهي أول غَزَوَاته، عليه السلام.

قال ابن إسحاق: حتى بلغ وَدَّانَ[(١)]، وهي غزوة الأَبْوَاءِ[(٢)]، يريد قُرَيْشاً وبني

---

[٤٦٨] ذكره ابن جرير في تاريخه (٢/ ٣٩٢) والبيهقي في دلائله (٢/ ٥٠٣) نقلاً عن ابن إسحاق.
وانظر البداية والنهاية (٣/ ٢٥٣) وابن سعد في طبقاته (٢/ ٨) وانظر أيضاً سبل الهدى والرشاد (٣/ ٢٦٩).

[٤٦٩] انظر تاريخ الطبري (٢/ ٤٠٣) والدلائل للبيهقي (٣/ ١٠ ـ ١١) والبداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٢٩٧) والدرر (ص ٩٠) لابن عبد البر.
وانظر سبل الهدى والرشاد (٤/ ١٤).

---

(١) وَدَّان ـ بفتح الواو وتشديد الدال المهملة في آخره نون ـ وهي قرية جامعة من عمل الفُرْع.

(٢) الأبواء ـ بفتح الهمزة وسكون الموحدة والمدّ ـ قرية بين مكّة والمدينة، قيل سميت بذلك لِما فيها من الوباء ولو كان كما ذكر لكانت الأَوباء، أو يكون مقلوباً به، والصحيح أنها سُمِّيت بذلك لتبوىء السيول بها، قاله ثابت بن قاسم. =

ضَمْرَةَ بْنِ بكر بن عبدِ مَنَاةَ بن كِنَانَةَ، فَوَادَعَتْهُ فيها بنو ضَمْرَةَ، وكان الذي وادعه منهم عليهم مَخْشِيَّ بن عمرو الضَّمْرِي[1]، وكان سيِّدَهم في زمانه ذلك، ثم رجع رسول الله ـ ﷺ ـ إلى المدينة، ولم يَلْقَ كَيْداً[2]، فأقام/ (١٢٢/ب) بها بقية صَفَرٍ، وصدراً من شهر ربيع الأول [٤٧٠].

قال ابن هشام: وهي أولُ غَزْوَةٍ غَزَاها.

سريَّةُ عُبَيْدةَ بْنِ الحَارِثِ

وهي أول رايةٍ عَقَدَها، عليه السلام.

أول سهم رمى به في الإسلام

قال ابن إسحاق: وبَعَثَ رسول الله ـ ﷺ ـ في مُقَامِهِ ذلك بالمدينةِ عُبَيْدَةَ بن الحارث بن المُطلَّب بن عبدِ مَنَافِ بن قُصَيٍّ في ستِّين أو ثمانين راكباً من المهاجرين، وليس فيهم من الأنصار أَحَدٌ، فسار حتى بلغ ماءً بالحجازِ بأَسفَلِ ثَنِيَّةِ المَرْوَة، فلقي بها جمعاً عظيماً من قُرَيْشٍ، فلم يكن بينهم قتال، إلا أن سَعْدَ بن أبي وقَّاص قد رَمَىٰ يومئذ بسَهْم، فكان أول سهم رُمِيَ به في الإسلام، ثم انصرف القوم عن القومِ، وللمسلمين حَامِيَةٌ[3].

قائد المشركين في هذه السرية

وفَرَّ من المشركين إلى المسلمين المِقْدادُ بن عمرو الْبَهْرَانِيُّ حليفُ بني زُهْرَةَ، وعُتْبَةُ بن غَزْوَانَ بن جابر المازنيُّ حليفُ بني نَوْفَلِ بن عبد مناف، وكانا مُسْلِمَيْنِ ولكنهما

---

[٤٧٠] انظر السابق.

= قال أبو عمرو: أقام رسول الله ـ ﷺ ـ بالمدينة باقي ربيع الأول، الشهر الذي قَدِم فيه، وباقي العام كله إلى صفر، من سنة اثنتين من الهجرة، ثم خرج غازياً في صفر، وحمل لواءَه حمزةُ بن عبد المطلب، وكان لواءً أبيض، واستعمل على المدينة فيما قال أبو سَعْد وأبو عمر: سَعْدَ بن عُبادة، وخرج بالمُهاجرين ليس مِنهم أنصاريّ يعترض عِيراً لقريش فلم يلق كيداً، ووادَع بني ضمرة بن عبد مناة بن كنانة وعقد ذلك معه سيدهم.

(١) مَخشِيّ ـ بفتح الميم وإسكان الخاء وكسر الشين المعجمتين ثم ياء مشددة كياء النَّسَب ـ: لم أَر مَنْ ذَكر له إسلاماً.

(٢) لم يَلْقَ كَيْداً، أي: لم يَلْقَ حَرْباً.

(٣) حامِيةً يعني: فُرساناً يَحْمُون آخرَهم.

خرجا ليتوصَّلاَ بالكُفَّار، وكان على القوم عِكْرَمَةُ بن أبي جَهْلٍ [٤٧١].

قال ابن هشام: حدَّثني ابن أبي عمرو بن العَلاَءِ، عن أبي عمرو المدنيِّ، أنه كان عليهم مِكْرَزُ بن حَفْص بن الأَخْيَفِ أحدُ بني مَعِيصِ بن عامر بن لُؤَيِّ بن غالب بن فِهْرٍ.

قال ابن إسحاق: فقال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ في غزوة عُبَيْدَةَ بن الحارث.

قصيدة تنسب لأبي بكر رضي الله عنه

قال ابن هشام: وأكثر أهل العِلْمِ بالشعر ينكر[١] هذه القصيدة لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ [من الطويل]:

أَمِنْ طَيْفِ سَلْمَىٰ بِالْبِطَاحِ الدَّمَائِثِ ... أَرِقْتَ وَأَمْرٍ فِي الْعَشِيرَةِ حَادِثِ؟[٢]

تَرَىٰ مِنْ لُؤَيٍّ فُرْقَةً لاَ يَصُدُّهَا ... عَنِ الْكُفْرِ تَذْكِيرٌ وَلاَ بَعْثُ بَاعِثِ

رَسُولٌ أَتَاهُمْ صَادِقٌ فَتَكَذَّبُوا ... عَلَيْهِ، وَقَالُوا: لَسْتَ فِينَا بِمَاكِثِ

إِذَا مَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْحَقِّ أَدْبَرُوا ... وَهَرُّوا هَرِيرَ الْمُجْحَرَاتِ اللَّوَاهِثِ[٣]

فَكَمْ قَدْ مَتَنَّا فِيهِمُ بِقَرَابَةٍ ... وَتَرْكُ الثُّقَىٰ شَيْءٌ لَهُمْ غَيْرُ كَارِثِ[٤]

فَإِنْ يَرْجِعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ وَعُقُوقِهِمْ ... فَمَا طَيِّبَاتُ الْحِلِّ مِثْلَ الْخَبَائِثِ

وَإِنْ يَرْكَبُوا طُغْيَانَهُمْ وَضَلاَلَهُمْ ... فَلَيْسَ عَذَابُ اللَّهِ عَنْهُمْ بِلاَبِثِ

وَنَحْنُ أُنَاسٌ مِنْ ذُؤَابَةِ غَالِبٍ ... لَنَا الْعِزُّ مِنْهَا فِي الْفُرُوعِ الأَثَائِثِ[٥]

فَأُولِي بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ عَشِيَّةً ... حَرَاجِيجُ تُحْدَىٰ فِي السَّرِيحِ الرَّثَائِثِ[٦]

---

[٤٧١] انظر تاريخ الطبري (٢/ ٤٠٤) والبيهقي في الدلائل (٣/ ١١).
وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٢٩٨).

---

(١) قال الشيخ الفقيه أبو ذرٍّ رضي الله عنه: وممَّا يُقَوِّي قول ابن هشام في هذا ما رُوِيَ من حديث الزُّهْريِّ عن عُروة عن عائشة أنها قالت: كَذَبَ من أخبركم أنَّ أبا بكر قال بيت شعرٍ في الإسلام.

(٢) الدَّمائث: الرِّمال اللَّيِّنة، وأرِقتُ معناه: أمتَنَعتُ من النوم.

(٣) هَرُّوا: معناه وَثَبوا كما تَثِب الكِلاب، والمُجْحَراتُ، يعني: الكلابُ التي أُجحِرَت وأُلجِأت إلى مواضِعها، واللَّواهِث، أي: الَّتي أخرجت ألْسِنَتَها وتابَعَتْ أَنْفَاسَهَا.

(٤) مَتَنَّا: أي: اتَّصَلْنا، غيرُ كارِثٍ أي: غيرُ مُحْزِنٍ.

(٥) الأثايث: هي الكثيرة المجتمعة.

(٦) أُولي معناه: أَحْلِفُ وأُقسِمُ، والرَّاقِصات يعني: الإبل، والرَّقص: ضَربٌ من المَشي، وحَراجِيجُ يعني: طوالاً واحدُها حُرْجوجٌ، ومَن رَواه: عَناجيج فهي الجِسانُ، وتُحْدَى، أي: تُسْرع، والسَّريحُ: قِطَعُ جُلودٍ تُرْبَط على أَخْفافِها مَخافَةَ أَنْ تُصِيبَها الحِجارةُ، والرَّثائِثُ يعني: البالِيةَ الخَلِقةَ.

كَأُدْمِ ظِبَاءٍ حَوْلَ مَكَّةَ عُكَّفِ ... يَرِدْنَ حِيَاضَ الْبِئْرِ ذَاتِ النَّبَائِثِ[1]

لَئِنْ لَمْ يُفِيقُوا عَاجِلاً مِنْ ضَلاَلِهِمْ ... وَلَسْتُ إِذَا آلَيْتُ قَوْلاً بِحَانِثِ

لَتَبْتَدِرَنَّهُمْ غَارَةٌ ذَاتُ مَصْدَقٍ ... تُحَرِّمُ أَطْهَارَ النِّسَاءِ الطَّوَامِثِ[2]

تُغَادِرُ قَتْلَى تَعْصِبُ الطَّيْرُ حَوْلَهُمْ ... وَلاَ تَرْأَفُ الْكُفَّارَ رَأْفَ ابْنِ حَارِثِ[3]

فَأَبْلِغْ بَنِي سَهْمٍ لَدَيْكَ رِسَالَةً ... وَكُلَّ كَفُورٍ يَبْتَغِي الشَّرَّ بَاحِثِ

فَإِنْ تَشْعَثُوا عِرْضِي عَلَى سُوءِ رَأْيِكُمْ ... فَإِنِّيَ مِنْ أَعْرَاضِكُمْ غَيْرُ شَاعِثِ[4]

فأجابه عبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمِيُّ، فقال: [من الطويل]

أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ أَقْفَرَتْ بِالْعَثَاعِثِ ... بَكَيْتَ بِعَيْنٍ دَمْعُهَا غَيْرُ لاَبِثِ؟[5]

وَمِنْ عَجَبِ الأَيَّامِ والدَّهْرُ كُلُّهُ ... لَهُ عَجَبٌ مِنْ سَابِقَاتِ وَحَادِثِ

لِجَيْشٍ أَتَانَا ذِي عُرَامٍ يَقُودُهُ ... عُبَيْدَةُ يُدْعَى فِي الْهِيَاجِ ابْنَ حَارِثِ[6]

لِنَتْرُكَ أَصْنَاماً بِمَكَّةَ عُكَّفاً ... مَوَارِيثَ مَوْرُوثٍ كَرِيمٍ لِوَارِثِ

فَلَمَّا لَقِينَاهُمْ بِسُمْرٍ رُدَيْنَةٍ ... وَجُرْدٍ عِتَاقٍ فِي الْعَجَاجِ لَوَاهِثِ[7]

وَبِيضٍ كَأَنَّ الْمِلْحَ فَوْقَ مُتُونِهَا ... بِأَيْدِي كُمَاةٍ كَاللُّيُوثِ الْعَوَائِثِ[8]

نُقِيمُ بِهَا إِضْعَارَ مَنْ كَانَ مَائِلاً ... وَنَشْفِي الذُّحُولَ عَاجِلاً غَيْرَ لاَبِثِ[9]

فَكَفُّوا عَلَى خَوْفٍ شَدِيدٍ وَهَيْبَةٍ ... وَأَعْجَبَهُمْ أَمْرٌ لَهُمْ أَمْرُ رَائِثِ[10]

---

(١) كأُدْم ظِباءٍ: الأُدْمُ من الظِّباء: السُّمْرُ الظُّهورِ البيضُ البُطون. وعُكَّفٌ، أي: مُقيمةٌ. والنبائث: هو جَمْعُ نَبِيثَةٍ وهي تُرَابٌ يخرج من البئر إذا نُقِبَتْ.

(٢) الطوامِثُ: هو جَمْعُ طامِثٍ، وهي الحائِضُ.

(٣) تَعْصِب الطيرُ معناه: تَجْتَمِع، ولا تَرأَفُ أي: لا تَرْحَمُ.

(٤) فإن تَشْعَثُوا معناه: تَغَيَّروا وتَفَرَّقوا. وينظر بعض من أبيات هذه القصيدة في البداية والنهاية (٢/ ٢٩٨، ٢٩٩).

(٥) العَثَاعِثُ: أكْداسُ الرَّمْل التي لا تُنْبِتُ شيئاً، واحِدها عَثْعَثٌ. و «غير لابث» مَنْ رواه: غير لابِثٍ، فمعناه: غيرُ ماكِثٍ، ومن رواه: غير لائِث ـ بالهمزة، فمعناه: غير محتبس.

(٦) العُرام: الكَثْرة والشِّدّة في الهياج والهِياجُ: الحرب.

(٧) بِسُمْرٍ، يعني: رِماحاً، وَرُدَيْنَةُ: امْرَأةٌ تُنْسَب الرِّماحُ إليها، والجُرْدُ: الخيل القَصيراتُ الشَّعر، ويقال: السريعة أيضاً، والعَجاج: الغُبار، ولواهِثُ: قد تقدَّم تفسيره.

(٨) وبيضٍ، يعني: السُّيوفَ، والكُماةُ: الشُّجْعانُ. والعَوائِثُ، أي: المُفْسِدات، ومَن رَواه: العَوابث، فهو من العَبَث وهو معلوم.

(٩) يُقيم بها إضعار، ويُرْوى: أَضْغاء، ومعناهما جَمِيعاً: المَيْلُ، والذُّحول: جَمْعُ ذَحْلٍ وهو طَلَب الثَّأر.

(١٠) رائث معناه: مُبْطِىء.

وَلَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا نَاحَ نِسْوَةٌ أَيَامَى لَهُمْ مِنْ بَيْنِ نَسْءٍ وَطَامِثِ[1]
وَقَدْ غُودِرَتْ قَتْلَى يُخَبِّرُ عَنْهُمُ حَفِيٌّ بِهِمْ أَوْ غَافِلٌ غَيْرُ بَاحِثِ[2]
فَأَبْلِغْ أَبَا بَكْرٍ لَدَيْكَ رِسَالَةً فَمَا أَنْتَ عَنْ أَعْرَاضِ فِهْرٍ بِمَاكِثِ
وَلَمَّا تَجِبْ مِنِّي يَمِينٌ غَلِيظَةٌ تُجَدِّدُ حَرْباً حَلْقَةً غَيْرَ حَانِثِ[3]

قال ابن هشام: تركْنَا منها بيتاً واحداً، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لابن الزبعرَىٰ.

قال ابن إسحاق: وقال سعد بن أبي وَقَّاصٍ في رمْيَتِهِ تلك، فيما يذكرون [من الوافر]:

أَلاَ هَلْ أَتَىٰ رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي حَمَيْتُ صَحَابَتِي بِصُدُورِ نَبْلِي؟
أَذُودُ بِهَا أَوَائِلَهُمْ ذِيَاداً بِكُلِّ حُزُونَةٍ وَبِكُلِّ سَهْلِ[4]
فَمَا يَعْتَدُّ رَامٍ فِي عَدُوٍّ بِسَهْمٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَبْلِي
وَذَلِكَ أَنَّ دِينَكَ دِينُ صِدْقٍ وَذُو حَقٍّ أَتَيْتَ بِهِ وَعَدْلِ/ (١٢٣/أ)
يُنَجَّى الْمُؤْمِنُونَ بِهِ وَيُخْزَى بِهِ الْكُفَّارُ عِنْدَ مَقَامِ مَهْلِ[5]
فَمَهْلاً قَدْ غَوِيتَ فَلاَ تَعِبْنِي غَوِيُّ الْحَيِّ وَيْحَكَ يَا ابْنَ جَهْلِ[6]

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد.

قال ابن إسحاق: وكانَتْ رايةُ عُبَيْدَة بن الحارث، فيما بلغني، أولَ رايةٍ عقدها رسول الله ـ ﷺ ـ في الإسلام لأحد من المسلمين.

قال ابن إسحاق: وبعض العلماء يزعُمُ أَنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ بعثه حين أقبل مِنْ غزوة الأَبْوَاءِ قبل أن يَصِلَ إلى المدينة [٤٧٢].

---

[٤٧٢] رواه البيهقي (٣/ ١٠) بسنده إلى بن إسحاق. وانظر تاريخ ابن جرير (٢/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥). والبداية والنهاية (٣/ ٣٠٠). وسبل الهدى والرشاد (٦/ ١١).

---

(١) أيامى: ليس لَهُنَّ أَزواجٌ. النَّسْءُ: المُتأخِّرةُ الحيضِ هنا، والطامِثُ: الحَائِضُ.
(٢) حَفِيٌّ معناه: كثيرُ السُّؤَالِ.
(٣) ينظر بعض من أبيات هذه القصيدة في البداية والنهاية (٣/ ٢٩٩).
(٤) الحَزونةُ: الوَعْرُ منَ الأَرض.
(٥) عند مَقَام مَهْلٍ: أي إمْهالٍ وتَثَبُّتٍ.
(٦) ينظر: البداية والنهاية (٣/ ٢٩٩).

سرية حَمْزَة ـ رضي الله عَنْهُ ـ إلى سيفِ البَحْرِ

وبعث في مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى سيفِ البَحْرِ[1] من ناحية الْعِيصِ[2]، في ثلاثين راكباً من المهاجرين، لَيْسَ فيهم من الأنصار أَحَدٌ، فلقى أبا جهل بْنَ هشام بذلك الساحل في ثلاثمائة راكِبٍ من أهل مكّة، فحجز بينهم مَجْدِيُّ بن عَمْرِو الْجُهَنِيُّ وكان مُوَادِعاً للفريقَيْنِ جميعاً، فانصرف بعضُ القوم عن بعض، لم يكُنْ بينهم قتال.

وبعض الناس يقول: كانت رايةُ حَمْزَةَ أولَ روايةٍ عَقَدَهَا رسولُ الله ـ ﷺ ـ لأحَدٍ من المسلمين، وذلك أَنَّ بَعْثَهُ وبَعْثَ عُبَيْدَةَ كانا معاً، فشُبِّه ذلك على الناس.

وقد زعموا أن حمزة قد قال في ذلك شِعْراً يذكر فيه أن رايته أول راية عقدها رسول الله ـ ﷺ ـ فإن كان حمزة قد قال ذلك فقد صَدَقَ إن شاء الله، لم يكنْ يقولُ إلا حقًّا، فالله أعلم أَيُّ ذلك كان.

فأما ما سمعنا مِنْ أهل العلم عندنا فعُبَيْدَةُ بن الحارث أَوَّلُ من عُقِدَ له، فَقَالَ حمزة في ذلك، فيما يزعمون [٤٧٣].

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يُنْكِرُ هذا الشعر لحمزة ـ رضي الله عنه ـ [من الطويل]:

أَلاَ يَا لَقَوْمِي لِلتَّحَلُّمِ والْجَهْلِ ... وَلِلنَّقْصِ مِنْ رَأْيِ الرِّجَالِ وَلِلْعَقْلِ
وَلِلرَّاكِبِينَا بِالْمَظَالِمِ لَمْ نَطَأْ ... لَهُمْ حُرُمَاتٍ مِنْ سَوَامٍ وَلاَ أَهْلِ[3]
كَأَنَّا تَبَلْنَاهُمْ وَلاَ تَبْلَ عِنْدَنَا ... لَهُمْ غَيْرُ أَمْرٍ بِالْعَفَافِ وَبِالْعَدْلِ[4]
وَأَمْرٍ بِإِسْلاَمٍ فَلاَ يَقْبَلُونَهُ ... وَيَنْزِلُ مِنْهُمْ مِثْلَ مَنْزِلَةِ الْهَزْلِ
فَمَا بَرِحُوا حَتَّى أَبْتَدَرْتُ لِغَارَةٍ ... لَهُمْ حَيْثُ حَلُّوا أَبْتَغِي رَاحَةَ الْفَضْلِ
بِأَمْرِ رَسُولُ اللَّهِ أَوَّلُ خَافِقٍ ... عَلَيْهِ لِوَاءٌ لَمْ يَكُنْ لاَحَ مِنْ قَبْلِي
لِوَاءٌ لَدَيْهِ النَّصْرُ مِنْ ذِي كَرَامَةٍ ... إِلَهٍ عَزِيزٍ فِعْلُهُ أَفْضَلُ الْفِعْلِ

---

[٤٧٣] انظر السابق.

---

(١) إلى سِيفِ البَحْرِ، أي: ساحِله.
(٢) من ناحِيةِ العِيص، العيص هنا: مَوْضِعٌ وأصل العِيص: مَنْبِتُ الشَّجر وهو الأصل أيضاً.
(٣) السَّوامُ: الإبِلُ المُرْسَلَة في المَرْعَى.
(٤) تَبَلْناهم معناه: عادَيْناهم، والتَّبْلُ: العَداوة، ويقال: هو طَلَبُ الثأر.

عَشِيَّةَ سَارُوا حَاشِدِينَ، وَكُلُّنَا ... مَرَاجِلُهُ[1] مِنْ غَيْظِ أَصْحَابِهِ تَغْلِي

فَلَمَّا تَرَاءَيْنَا أَنَاخُوا فَعَقَّلُوا ... مَطَايَا وَعَقَّلْنَا مَدَى عَرَضِ النَّبْلِ

فَقُلْنَا لَهُمْ: حَبْلُ الإِلٰهِ نَصِيرُنَا ... وَمَا لَكُمُ إِلاَّ الضَّلاَلَةَ مِنْ حَبْلِ

فَثَارَ أَبُو جَهْلٍ هُنَالِكَ بَاغِياً ... فَخَابَ وَرَدَّ اللَّهُ كَيْدَ أَبِي جَهْلِ

وَمَا نَحْنُ إِلاَّ فِي ثَلاَثِينَ رَاكِباً ... وَهُمْ مِائَتَانِ بَعْدَ وَاحِدَةٍ فَضْلِ

فَيَالَ لُؤَيٍّ لاَ تُطِيعُوا غُوَاتَكُمْ ... وَفِيئُوا إِلَى الإِسْلاَمِ وَالْمَنْهَجِ السَّهْلِ[2]

فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُصَبَّ عَلَيْكُمُ ... عَذَابٌ فَتَدْعُوا بِالنَّدَامَةِ وَالثُّكْلِ[3]

فأجابه أبو جهل بن هشام فقال [من الطويل]:

عَجِبْتُ لِأَسْبَابِ الْحَفِيظَةِ[4] وَالْجَهْلِ ... وَلِلشَّاغِبِينَ بِالْخِلاَفِ وَبِالْبُطْلِ

وَلِلتَّارِكِينَ مَا وَجَدْنَا جُدُودَنَا ... عَلَيْهِ ذَوِي الأَحْسَابِ وَالسُّؤْدَدِ الْجَزْلِ[5]

أَتَوْنَا بِإِفْكٍ كَيْ يُضِلُّوا عُقُولَنَا ... وَلَيْسَ مُضِلاً إِفْكُهُمْ عَقْلَ ذِي عَقْلِ[6]

فَقُلْنَا لَهُمْ: يَا قَوْمَنَا لاَ تُخَالِفُوا ... عَلَى قَوْمِكُمْ إِنَّ الْخِلاَفَ مَدَى الْجَهْلِ

فَإِنَّكُمُ إِنْ تَفْعَلُوا تَدْعُ نِسْوَةٌ ... لَهُنَّ بَوَاكٍ بِالرُّزِيَّةِ وَالثُّكْلِ

وَإِنْ تَرْجِعُوا عَمَّا فَعَلْتُمْ فَإِنَّنَا ... بَنُو عَمْكُمْ أَهْلُ الْحَفَائِظِ وَالْفَضْلِ

فَقَالُوا لَنَا: إِنَّا وَجَدْنَا مُحَمَّداً ... رِضاً لِذَوِي الأَحْلاَمِ مِنَّا وَذِي الْعَقْلِ

فَلَمَّا أَبَوْا إِلاَّ الْخِلاَفَ وَزَيَّنُوا ... جِمَاعَ الأُمُورِ بِالْقَبِيحِ مِنَ الْفِعْلِ

تَيَمَّمْتُهُمْ بِالسَّاحِلَيْنِ بِغَارَةٍ ... لِأَتْرُكَهُمْ كَالْعَصْفِ[7] لَيْسَ بِذِي/ (١٢٣/ ب) أَصْلِ

فَوَرَّعَنِي مَجْدِيُ عَنْهُمْ وَصُحْبَتِي ... وَقَدْ وَازَرُونِي بِالسُّيُوفِ وَبِالنَّبْلِ[8]

لِإِلٍّ عَلَيْنَا وَاجِبٍ لاَ نُضِيعُهُ ... أَمِينٍ قُوَاهُ غَيْرِ مُنْتَكِثِ الْحَبْلِ[9]

---

(١) المراجِلُ: جَمْعُ مِرْجَل وهو القِدْرُ. وقال بعض اللُّغَويِّين: هو قِدْرُ النُّحاس لا غَيْرُ.

(٢) فِيئوا معناه: ارجعُوا، وفي كتاب الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]. والمنْهَجُ: الطَّريق الواضِحُ.

(٣) الثُّكْلُ: الفَقْدُ والْحُزْنُ. وينظر: البداية والنهاية (٣/ ٣٠٠ ـ ٣٠١).

(٤) الحَفيظة: الغَضَبُ.

(٥) السُّؤدد الجَزْلُ، أي: العَظِيمُ.

(٦) بِإِفْكٍ أي: كَذِبٍ.

(٧) العَصْفُ: ورق الزرع الذي يَصْفَرُّ على ساقه ويقال: هو دِقاقُ التِّبن.

(٨) فَورَّعني، أي: كَفَّني، ومنه الوَرَع عن المَحارِم إنَّما هو الكَفُّ عنها. وازرُوني، معناه: أعانوني.

(٩) لإِلٍّ أي: لِعَهْدٍ، والإِلُّ هنا: العَهْدُ، وغيرُ مُنْتَكِث، أي: غيرُ مُنْتَقِضٍ، والعُكوف: المُقيمة اللازِمة.

فَلَوْلاَ ٱبْنُ عَمْرٍو كُنْتُ غَادَرْتُ مِنْهُمُ مَلاَحِمَ لِلطَّيْرِ الْعُكُوفِ بِلاَ تَبْلِ
وَلَكِنَّهُ آلَى بِإِلٍّ فَقَلَّصَتْ بِأَيْمَانِنَا حَدُّ السُّيُوفِ عَنِ الْقَتْلِ[1]
فَإِنْ تُبْقِنِي الأَيَّامُ أَرْجِعْ عَلَيْهِمُ بِبِيضٍ رِقَاقِ الْحَدِّ مُخْدَثَةِ الصَّقْلِ
بِأَيْدِي حُمَاةٍ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ كِرَامِ الْمَسَاعِي فِي الْجُدُوبَةِ وَالْمَحْلِ[2]

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يُنْكِرُ هذا الشعر لأبي جهل، لعنه الله.

غَزْوَةُ بُوَاطَ

قال ابن إسحاق: ثم غزا رسولُ الله - ﷺ - في شهر ربيع الأولِ يريد قريشاً.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة السائبَ بْنَ عُثْمَان بن مَظْعُونٍ[3].

قال ابن إسحاق: حتى بلغ بُوَاط[4] من ناحية رَضْوَى، ثم رجع إلى المدينة ولم يَلْقَ كَيْداً[5]؛ فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى [٤٧٤].

غَزْوَةُ الْعُشَيْرَةِ[6]

ثم غزا قريشاً، واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأَسَدِ؛ فيما قال ابن هشام.

[٤٧:] ذكره ابن جرير في تاريخه (٢/ ٤٠٥) والبيهقي في الدلائل (٣/ ١١) نقلاً عن ابن إسحاق. وانظر الغزوة في:
البداية والنهاية (٣/ ٣٠١ - ٣٠٢). والدرر (ص ٩٣). وسبل الهدى والرشاد (٤/ ١٥).

---

(١) آلى: أقسم وحلف، وقَلَّصت، أي: انْقَبَضَت.

(٢) ينظر: البيتان الأولان من القصيدة في البداية والنهاية (٣/ ٣٠١).

(٣) قال في الروض: ذكر ابنُ هشام استخْلافَ رسول الله - ﷺ - على المدينة السائِبَ بن مظعون، وهو أخو عثمان بن مَظْعُون بن حبيب، ثم قال: وأما السائب بن عثمان وهو ابن أخي هذا فشهد بدراً.. الخ. فاقتضى كلامه أن المستخلَف السائب بن مظعون لا السائب بنُ عثمان بن مظعون، وفيه نظر؛ لأن الموجود في نسخة السِّيرة: السائبُ بن عثمان بن مظعون.

(٤) بُواط - بضم الموحدة وفَتْحها وتَخفيف الواو وبالطاء المهملة -: جبل من جبال جُهينة من ناحية رضوى - بفتح الراء وسكون الصاد المعجمة - جبل بينْبُعَ، بينه وبين المدينة أربعةُ بُرُد.

(٥) أي: لم يلق حرباً ولم يقاتله أحد.

(٦) العُشَيْرة: بضم العين المهملة وفتح الشين المعجمة وسكون التحتية وبالهاء ويقال العسيرة بإهمال السين، وذات العُشَيْرة والعُشَيْر، وهو مَوْضع ببطْن ينْبُع، وهو منزل الحاج المصري.

الطريق الذي سلكه النبي ومواضع نزوله

قال ابن إسحاق: فسلك على نَقْبِ بَنِي دِينَارٍ، ثم على فَيْفَاء، الْخَبارِ، فنزل تحت شجرة بِبَطْحَاءِ ابنِ أزهر، يقال لها: ذاتُ السَّاق، فَصَلَّى عندها، فَثَمَّ مسجدُهُ ـ ﷺ ـ وصُنِعَ له عندها طعامٌ فأكَلَ منه وأكَلَ الناس معه، فموضع أثَافيِّ الْبُرْمَةِ معلومٌ هنالك، واسْتُقِيَ له مِنْ ماءٍ به يقال له: الْمُشْتَرِبُ.

ثم ارتحل رسولُ الله ـ ﷺ ـ فَتَرَكَ الخلائقَ بيَسَارٍ[1]، وسلك شُعْبَةً[2]، يقال لها: شُعْبَةُ عبد الله، وذلك اسمها اليوم، ثم صَبَّ للسَّادِّ[3] حتى هَبَطَ يَلْيَلَ فنزل بمجتمعه ومجتمع الضَّبُوعَةِ، واستقى من بئرٍ بالضَّبُوعَةِ، ثم سلك الْفَرْشَ فَرْشَ مَلَلٍ[4]، حتى لقي الطَّرِيق بصُخَيْرَاتِ الْيَمَامِ، ثم اعتدَلَ به الطريقُ حتى نزل الْعُشَيْرَةَ مِنْ بَطْنِ يَنْبُعَ، فأقام بها جُمادى الأولى ولياليَ من جمادى الآخرة، ووادع فيها بني مُدْلِجٍ وحلفاءهم من بني ضَمْرَةَ، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيداً، وفي تلك الْغَزْوَة قالَ لعلي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ ما قال [٤٧٥].

قال ابن إسحاق: فحدَّثني يزيد بن محمَّد بن خَيْثَم الْمُحَارِبيُّ، عن محمد بن كعب الْقُرَظِيِّ، عن محمد بن خَيْثَمَ أبي يزيد، عن عَمَّارِ بن ياسرٍ، قال: كنتُ أنا وعليُّ بن أبي طالب رفيقَيْنِ في غزوة الْعُشَيْرَةِ، فلما نزلها رسول الله ـ ﷺ ـ وأقام بها رأينا بها أناساً من بني مُدْلِجٍ يَعْمَلُونَ في عَيْنٍ لهم وفي نخلٍ، فقال لي علي بن أبي طالب: يا أبا الْيَقْظَانِ، هل لك في أن نأتي هؤلاءِ القَوْمَ فننظر كَيْفَ يعملون؟! قال: قلت: إن شئتَ، قال: فجئناهم، فنظَرْنَا إلى عملهم ساعةً، ثم غَشِيَنَا النومُ، فانطلقتُ أنا وعليٌّ حتى اضطجعنا في

---

[٤٧٥] ذكره الطبري في تاريخه (٢/ ٤٠٥ ـ ٤٠٦). والبيهقي في الدلائل (٣/ ١١ ـ ١٢). وانظر الطبقات (٢/ ٦ ـ ٧).
وانظر البداية والنهاية (٣/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣). وانظر سبل الهدى والرشاد (٤/ ١٧).

---

(١) قال أبو عليّ الغسَّانيُّ: الحَلايقُ بالحاء غير معجمة آبارٌ لقُريش والأنصار، والخلايق بالخاء المعجمة، قال أبو عليٍّ البغداديُّ في البارع: الخليقة بالخاء المعجمة البئرُ التي لا ماءَ فيها. قال الشيخ الفقيه أبو ذرٍّ رضي الله عنه: فَحَلايق على هذا هو جَمْعُها والخَلِيقةُ أيضاً: موضعٌ فيه مَزارِعُ ونَخْلٌ وقُصورٌ لِقَوم من آلِ الزُّبَيْر.

(٢) الشُّعْبَةُ: الطريقُ الضَّيِّقُ.

(٣) ثم صبَّ للسَّاد: كذا وقع هنا وصوابه: ثمَّ صَبَّ لِلْيَسار وكذا أصلحه الوَقَشِيُّ.

(٤) مَلَلٍ: موضع على عشرين ميلاً من المدينة أو أكثر قليلاً، يقال: إنما سمي بذلك؛ لأنه لا يصل إليه المسافر إلا بعد جهد وملل.

صَوْرٍ[1] من النَّخْلِ، وفي دَقْعَاءَ[2] من التراب، فنِمْنَا، فوالله ما أَهَبَّنَا[3] إلا رسولُ الله ـ ﷺ ـ يحرِّكنا برجله وقد تَتَرَّبْنَا من تلك الدَّقْعَاءِ التي نِمْنَا فيها، فيومئذ قال رسول الله ـ ﷺ ـ لعلي بن أبي طالب: «مَالَكَ يَا أَبَا تُرَابٍ»، لِمَا يُرَىٰ عليه من التراب، ثم قال: «أَلاَ أُحَدِّثُكُمَا بِأَشْقَى النَّاسِ رَجُلَيْنِ» قلنا: بَلَىٰ يا رَسُولَ اللَّهِ، قال: «أُحَيْمِرُ ثَمُودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يا عَلِيُّ عَلَىٰ هَذِهِ»، ووضع يده على قرنه «حَتَّى يَبُلَّ مِنْهَا هٰذِهِ» وأخذ بلحيته [٤٧٦].

قال ابن إسحاق: وقد حدَّثني بعض أهل العلم أن رسُولَ الله ـ ﷺ ـ إنما سَمَّى عليًّا «أبا تُرَابٍ» أنه كان إِذَا عَتَبَ على فاطمة في شَيْءٍ لم يكلِّمها ولم يَقُلْ لها شيئاً تكرهه، إلا أنه يأخذ تراباً فيضعه على رأسه/ (١٢٤/أ)، قال: فكان رسولُ الله ـ ﷺ ـ إذا رأَىٰ عليه التُّرَابَ عرف أنه عَاتِبٌ على فاطمة، فيقول: «مَا لَكَ يا أَبَا تُرَابٍ» فالله أعلمُ أيُّ ذلك كان [٤٧٧].

سَرِيَّةُ سَعْدِ بْنِ أَبي وقَّاصٍ

قال ابن إسحاق: وقد كان بَعَثَ رسول الله ـ ﷺ ـ فيما بين ذلك مِنْ غَزْوَةِ سَعْدِ بن أبي وَقَّاصٍ في ثمانية رَهْطٍ من المهاجرينَ؛ فخرج حتى بلغ الْخرَّارِ مِنْ أرض الحجاز، ثم

---

[٤٧٦] رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٦٣).

وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٤٠ ـ ١٤١). والنسائي في الكبرى (٥/ ١٥٣) كتاب الخصائص، باب ذكر أشقى الناس الحديث (٨٥٣٨).

والطبري في تاريخه (٢/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩). والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٢ ـ ١٣) والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٣٥٢) من طريق ابن إسحاق بالسند المذكور.

وفي إسناد محمد بن يزيد بن خثيم المحاربي قال الذهبي في الميزان (٧/ ٢٦٢): تفرد عنه ابن إسحاق.

وقال الحافظ في التقريب (٢/ ٣٧٠) مقبول.

قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه الزيادة إنما اتفقا على حديث أبي حازم عن سهل بن سعد ثم أبا تراب» أهـ.

وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ١٣٩):

«رواه أحمد والطبراني والبزار باختصار ورجال الجميع موثقون إلا أن التابعي لم يسمع من عمار» أهـ.

[٤٧٧] انظر السابق.

---

(١) الصَّوْرُ: النخل الصِّغارُ.

(٢) الدَّقْعاء: التربة اللَّيِّنة.

(٣) فوالله ما أهبَّنا أي: ما أيْقَظَنا.

رجع ولم يَلْقَ كَيْداً.

قال ابن هشام: ذكر بعضُ أهل العلم أنَّ بَعْثَ سَعْدٍ هذا كان بعد حَمْزَة [٤٧٨].

ذِكْرُ غَزْوَةِ سَفَوَان[١]

وهي غزوة بدر الأولى.

قال ابن إسحاق: ولم يُقِمْ رسولُ الله ـ ﷺ ـ بالمدينة ـ حين قَدِمَ من غزوة العُشَيْرَةِ ـ إلا ليالِيَ قلائلَ لا تَبْلُغُ العشر[٢]، حتى أغار كُرْزُ بن جابر الفِهريُّ على سَرْحِ المدينة، فخرج رسول الله ـ ﷺ ـ في طلبه، واسْتَعْمَلَ على المدينة زَيْدَ بْنَ حارثة، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: حتَّى بلغ وادياً يقال له سَفَوَانُ من ناحية بَدْرٍ، وفاتَهُ كُرْزُ بْنُ جابر فلم يدركْهُ، وهي غزوة بدر الأولى.

ثم رجع رسولُ الله ـ ﷺ ـ إلى المدينة، فأقام بها بقية جُمَادَى الآخرة، ورجباً، وشعبان [٤٧٩].

سَرِيَة عَبْدِ الله بن جَحْشٍ، ونُزُولُ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧]. وبَعَثَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ عبد الله بْنَ جَحْشِ بْنِ رِئَابٍ الأسَدِيَّ في رجب مَقْفَلَهُ من بَدْرٍ الأولى، وبعث معه ثمانية رَهْطٍ من المهاجرين، ليس فيهم من الأَنْصَارِ أَحَدٌ، وكتب له كتاباً، وأمره ألاَّ ينظر فيه حتى يسير يَوْمَيْنِ، ثم ينظر فيه فيمضي لما أَمَرَهُ به، ولا يَسْتَكْرِهُ من أصحابه

---

[٤٧٨] ذكره البيهقي في الدلائل (٣/ ١٣) وابن سعد في الطبقات (٢/ ٤ ـ ٥) والطبري في تاريخه (٢/ ٤٠٧) وابن عبد البر في الدرر (ص ٩٦).
وانظر أيضاً سبل الهدى والرشاد (٦/ ١٥ ـ بتحقيقنا).

[٤٧٩] انظر البداية والنهاية (٣/ ٣٠٣).
وتاريخ الطبري (٢/ ٤٠٧) والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٣) وانظر الدرر (ص ٩٥).
والطبقات (٢/ ٦).
وانظر سبل الهدى والرشاد (٤/ ١٦ ـ بتحقيقنا).

---

(١) سَفَوان ـ بفتح السين والفاء ـ: وادٍ معروف.

(٢) قال ابنُ حزم: بعدها بعشرة أيام خرج رسول الله ـ ﷺ ـ في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً... من مُهاجَرِه، في إثر كُرْز بن جَابر الفِهْري؛ لإغارته على سَرْح المدينة، وكان يرعى بالجَماء ونواحيها، وحمل لواءه ﷺ عليُّ بن أبي طالب رَضِي الله عنه، وكان أبيضَ؛ واستخلف على المدينة زيدَ بن حارِثة، فطلب ﷺ كُرْزاً حتى بلغ سفوان من ناحِية بدر، فلم يُدركه، فرجع ولم يَلْقَ كيداً.

أحداً، وكان أصحابُ عبدِ الله بن جحش من المهاجرين ثم مِنْ بني عبد شمس بن عبد مناف: أَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ بن ربيعة بن عبد شمس، ومن حلفائهم: عبدُ الله بن جَحْش وهو أميرُ القَوْمِ، وعُكَّاشَةُ بن مِحْصَنِ بن حُرْثَانَ أحدُ بني أَسد بن خُزَيْمَةَ حليفٌ لهم، ومن بني نَوْفَلِ بن عبد مناف: عُتْبَةُ بن غَزْوَان بْنْ جابر حليفٌ لهم، ومن بني زُهْرَةَ بن كِلاَبٍ: سَعْدُ بن أبي وَقَّاص، ومن بني عَدِيِّ بن كعبٍ: عامرُ بن ربيعة حليفٌ لهم من عنز بن وائل، وواقدُ بن عبد الله بن عبد مناف بن عَرِينِ بن ثَعْلَبَةَ بْنِ يَرْبُوع أحدُ بني تميمٍ حليفٌ لهم، وخالد بن الْبُكَيْرِ أحدُ بني سعد بن لَيْثٍ حليفٌ لهم، ومن بني الحرث بن فهرٍ: سُهَيْلُ بن بَيْضَاءَ.

فلما سار عبدُ الله بن جَحْش يَوْمَيْنِ فَتَحَ الكتابَ، فنظر فيه، فإذا فيه: «إِذَا نَظَرْتَ في كِتَابي هٰذَا، فَامْضِ حَتَّى تَنْزِلَ نَخْلَةَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ، فَتَرَصَّدْ بِهَا قُرَيْشاً وَتَعَلَّمْ لَنَا مِنْ أَخْبَارِهِمْ» فلما نَظَرَ عبدُ الله بْنُ جحشٍ في الكتابِ قال: سَمْعاً وطاعةً، ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسولُ الله ـ ﷺ ـ أن أَمْضِيَ إلى نَخْلَةَ، أَرْصُدُ بها قريشاً حتى آتيه منهم بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم، فمن كان منكم يريدُ الشهادَةَ ويرغَبُ فيها فلينطلق، ومَنْ كَرِهَ ذلك فليرجِعْ، فأمَّا أنا فماضٍ لأمر رسول الله ـ ﷺ ـ.

فمضَى ومضَىٰ معه أصحابه لم يتخلَّفْ عنه منهم أحد، وسَلَكَ على الحجاز، حتى إذا كان بِمَعْدِنٍ فوق الْفُرُعِ يقال له: بَحْرَانُ، أضَلَّ سعدُ بن أبي وقَّاص وعتبةُ بن غَزْوَانَ بعيراً لهما كانا يَعْتَقِبانِهِ، فتخلَّفا عليه في طلبه.

ومضَىٰ عبد الله بن جحش، وبقيَّةُ أصحابه حتى نَزَلَ بِنَخْلَةَ فمرَّتْ به عِيرٌ لقريشٍ تَحْمِلُ زَبِيباً وأَدَماً[1] وتجارةً مِنْ تجارة قريشٍ فيها عمْرُو بن الْحَضْرَمِيِّ.

قال ابن هشام: واسمُ الحضرميِّ: عبدُ الله بن عَبَّادٍ[2] (ويقال: مالك بن عباد) أَحَدُ الصَّدِفِ، واسْمُ الصَّدِف: عَمْرُو بن مالك أَحَدُ السَّكُونِ ابن المغيرة بن أَشْرَس بن كِنْدَةَ، ويقال: كِنْدِي.

قال ابن إسحاق: وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، وأخوه نَوْفَلُ بْنُ عبد الله المخزوميَّانِ، والحَكَمُ بن كَيْسَانَ مولَى هشام بن المغيرة، فلما رآهم القومُ هابوهم، وقد نزلوا قريباً منهم، فأشرف/ (١٢٤/ب) لهم عُكَّاشَةُ بن مِحْصَنٍ، وكان قد حَلَقَ رأسه، فلما رَأَوْه أَمِنُوا، وقالوا: عُمَّارٌ لا بَأْسَ عليكم منهم، وتشاور القَوْمُ فيهم، وذلك في آخر يَوْمٍ

---

(١) الأَدم: الجُلود واحدها أديمٌ.

(٢) واسمُ الحَضْرَميِّ عبد الله بن عَبَّادٍ: كذا وقع هنا وصَوابه عَبَّاد بدل عَبَّادٍ وقد تقدَّم التنبيه عليه.

من رجبٍ، فقال القوم: واللَّهِ، لئن تركتم القَوْمَ هذه الليلة لَيَدْخُلُنَّ الحرمَ فَلَيَمْتَنِعُنَّ منكم به، ولئنْ قتلتموهم لَتَقْتُلُنَّهُمْ في الشَّهْرِ الحرام، فتردَّدَ القَوْمُ، وهابوا الإقدام عليهم، ثم شَجَّعوا أنفسهم عليهم، وأجمعوا على قَتْلِ من قدروا عليه منهم، وأَخْذِ ما معهم، فَرَمَىٰ واقدُ بن عبد الله التميميُّ عَمْرَو بن الحضرميِّ بِسَهْمٍ، فقتله، واستأْسَرَ عثمانَ بْنَ عبدِ اللَّهِ والحَكَمَ بْنَ كَيْسَان، وأفلَتَ القومَ نوفلُ بن عبد الله، فأعجزهم، وأقبل عبدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ وأصحابه بالعِيرِ وبالأسيرَيْن حتى قدموا على رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة.

وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أن عبد الله قال لأصحابه: إن لرسول الله ـ ﷺ ـ مِمَّا غَنِمْنَا الخُمُسَ، وذلك قبل أن يفرض الله تعالى الخمس من المغانم؛ فعزل لرسول الله ـ ﷺ ـ خُمُسَ العِيرِ، وقَسَمَ سائرها بين أصحابه [٤٨٠].

قال ابن إسحاق: فلما قَدِمُوا على رسول الله ـ ﷺ ـ المدينَة، قال: «مَا أَمَرْتُكُمْ بِقِتَالٍ في الشَّهْرِ الْحَرَامِ» فوقَفَ العِيرَ والأسيرَيْن، وأبى أن يأخذ مِنْ ذلك شيئاً، فلما قال ذلك رسول الله ـ ﷺ ـ سُقِطَ في أَيْدي القوم، وظنوا أنهم قد هَلَكُوا، وعَنَّفَهُمْ إخوانهم من المسلمين فيما صَنَعُوا، وقالت قريش: قد استَحَلَّ محمد وأَصحابه الشَّهْرَ الحرام، وسَفَكوا فيه الدمَ، وأخذوا فيه الأموالَ، وأَسَرُوا فيه الرجال، فقال مَنْ يَرُدُّ عليهم من المسلمين ممن كان بمكَّة: إنما أصابوا ما أصابوا في شَعْبَانَ؛ وقالت يهودُ تَفَاءَلُ بذلك على رسول الله ـ ﷺ ـ: «عمرو بن الحضرميِّ قتله واقدُ بْنُ عبد الله: عَمْرٌو: عمرت الحرب، والحضرميُّ: حضرت الحربُ، وواقد بن عبد الله: وَقَدَتِ الْحَرْبُ، فجعل الله عليهم ذلك لا لَهُمْ، فلما أَكْثَرَ الناس في ذلك أنزَلَ الله علىٰ رسوله ـ ﷺ ـ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: إن كنتم قَتَلْتُمْ في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مَعَ الكُفْرِ به، وعن المَسْجِدِ الحرام، وإخراجُكُمْ منه وأنتم أهلُهُ أَكْبَرُ عند الله مِنْ قتل مَنْ قتلتم منهم، ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ أي: قد كانوا يفتنون المُسْلِمَ في دينه حتى يردُّوهُ إلى الكُفْر بعد إيمانه، فذلك أكبر عند الله من القتل، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧]، أي: ثم هم مقيمون على أَخْبَثِ ذلك وأعظمه، غير تائبين ولا نازعين.

---

[٤٨٠] ذكره ابن كثير في البداية (٣/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥).

وانظر الطبقات (٢/ ٧) والدرر (ص ٩٥)، وسبل الهدى (٦/ ١٦ ـ ١٩ ـ بتحقيقنا).

والقصة ذكرها البيهقي في الدلائل (٣/ ١٧ ـ ١٩). وابن جرير (٢/ ٤١٠ ـ ٤١٣) من طريق يزيد بن رومان عن عروة مرسلاً، وقد تقدم الكلام على هذا الإسناد.

فلما نزل القرآنُ بهذا من الأمر وفَرَّجَ الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الشَّفَقِ[1]، قَبَضَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ الْعِيرَ وَالأَسيرَيْنِ، وبعثت إليه قريشٌ في فداء عثمان بن عبد الله والحَكَم بن كَيْسَانَ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا نُفْدِيكُمُوهُمَا حَتى يَقْدَمَ صَاحِبَانَا» يعني: سعد بن أبي وقَّاصٍ وعُتْبَةَ بن غَزْوَانَ؛ «فإنَّا نَخْشَاكُمْ عَلَيْهِمَا، فَإنْ تَقْتُلُوهُمَا نَقْتُلْ صَاحِبَيْكُمْ» فَقَدِم سعدٌ وعتبة، فَفَدَاهُمَا رسولُ الله ـ ﷺ ـ منهم؛ فأما الْحَكَمُ بْنُ كَيْسَانَ فأسلَمَ، فَحَسُنَ إسلامه، وأقام عند رسول الله ـ ﷺ ـ حتى قُتِلَ يوم بئر مَعُونَةَ شهيداً، وأما عثمان بن عبد الله فلَحِقَ بمكة فمات بها كافراً.

فلما تَجَلَّىٰ عن عبد الله بن جَحْشٍ وأصحابِهِ ما كانوا فيه ـ حين نزل القرآن ـ طَمِعُوا في الأجر/ (١٢٥/أ)، فقالوا: يا رسولَ الله، أَنَطْمَعُ أَنْ تَكُونَ لنا غَزْوَةٌ نُعْطَى فيها أَجْرَ الْمُجَاهِدِينَ؟! فأنزل الله عزَّوجلَّ فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة: ٢١٨] فوضعهم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ من ذلك على أعظم الرجاء.

والحديثُ في هذا عن الزُّهْرِيِّ ويزيد بْنِ رُومَانَ، عن عروة بن الزبير [٤٨١].

قال ابن إسحاق: وقد ذَكَرَ بعضُ آل عبد الله بن جَحْشٍ أن الله عزَّ وجلَّ قَسَمَ الْفَيءَ ـ حين أحلَّهُ ـ فجعل أربعة أخماسه لمن أفاءه، وخُمُسَهُ إلى الله ورسوله، فوقع على ما كان عبدُ اللَّهِ بْنُ جحش صنع في تلك الْعِيرِ [٤٨٢].

قال ابن هشام: وهي أول غنيمة غَنِمَهَا المسلمون، وعَمْرُو بن الحضرميّ أول من قتله المسلمون، وعثمانُ بن عبد الله والْحَكَمُ بن كَيْسان أولُ من أسَرَ المسلمونَ.

كلمة تنسب لأبي بكر الصديق أو لعبد الله بن جحش

قال ابن إسحاق: فقال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ في غزوة عَبْدِ الله بن جَحْشٍ، ويقال: بَلْ عَبْدُ الله بن جحش قالها حين قالَتْ قريش: قد أَحَلَّ محمدٌ وأصحابه الشَّهْرَ الحَرَامَ: فسفكوا فيه الدَّمَ، وأخذوا فيه المال، وأسروا فيه الرجال.

قال ابن هشام: هي لعبد الله بن جحش [من الطويل]:

---

[٤٨١] انظر السابق.

[٤٨٢] انظر السابق.

---

(١) الشفق هنا: الخوف.

تَعُدُّونَ قَتْلاً فِي الْحَرَامِ عَظِيمَةً ... وَأَعْظَمُ مِنْهُ لَوْ يَرَى الرُّشْدَ رَائِدُ

صُدُودُكُمُ عَمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ ... وَكُفْرٌ بِهِ، وَاللَّهُ رَاءٍ وَشَاهِدُ

وَإِخْرَاجُكُمْ مِنْ مَسْجِدِ اللَّهِ أَهْلَهُ ... لِئَلاَّ يُرَىٰ لِلَّهِ فِي الْبَيْتِ سَاجِدُ

فَإِنَّا وَإِنْ عَيَّرْتُمُونَا بِقَتْلِهِ ... وَأَرْجَفَ بِالإِسْلاَمِ بَاغٍ وَحَاسِدُ

سَقَيْنَا مِنَ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ رِمَاحُنَا ... بِنَخْلَةَ لَمَّا أَوْقَدَ الْحَرْبَ وَاقِدُ

دَماً. وَابْنُ عَبْدِ اللَّهِ عُثْمَانُ بَيْنَنَا ... يُنَازِعُهُ غُلٌّ مِنَ الْقِدِّ عَانِدُ[1]

تارِيخُ الْقِبْلَةِ

قال ابن إسحاق: ويقال: صُرِفَتِ القبلةُ في شعبان على رَأْسِ ثمانيةَ عشر شهراً من مَقْدَمِ رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة [٤٨٣].

---

[٤٨٣] انظر تاريخ الطبري (٢/٤١٦)، والدرر (ص ١٠٠) والبداية والنهاية (٣/٣٠٨).

---

(١) القِدُّ: شَرْكٌ يُقْطَع من الجلْد، وعاند، معناه: سائل بالدم لا ينقطع. ينظر: البداية والنهاية (٣/ ٣٠٨).

غَزْوَةُ بَدْرٍ[1] الكُبْرَى[2]

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ـ ﷺ ـ سَمِعَ بأبي سُفْيَانَ بن حرب مُقْبِلاً من الشأم في عيرٍ لقريشٍ عظيمة فيها أموالٌ لقريشٍ وتجارةٌ من تجاراتهم، وفيها ثلاثُونَ رجلاً من قريش أو أربعون، منهم مَخْرَمَةُ بن نَوْفَلِ بْنِ أُهَيْبِ بن عبد مناف بن زُهْرَةَ، وعَمْرو بن العَاصِ بن وائل بن هشام [٤٨٤].

قال ابن هشام: ويقال: عَمْرُو بن العاص بن وائل بن هاشم.

---

[٤٨٤] رواه ابن جرير (٢/ ٤٢٧) بإسناده إلى ابن إسحاق وذكره ابن كثير في البداية (٣/ ٣١٣). وانظر سبل الهدى والرشاد (٤/ ١٨).

---

(١) بدر: قرية مشهورة على نحو أربع مراحل من المدينة الشريفة، قيل: نُسبت إلى بدر بن مُخَلَّد بن النضر بن كنانة، وقيل: إلى بدر بن الحارث، وقيل: إلى بدر بن كَلدة. وقيل: بدر: اسم البئر التي بها سُمِّيت بذلك لاستدارتها أو لصفائها فكان البَدْر يُرَى فيها، وأنكر ذلك غيرُ واحد من شيوخ بني غِفار وقالوا: هي ماؤنا، ومنازلنا وما ملكها أحد قطُّ يقال له: بَدْر، وإنما هو عَلَم عليها كغيرها من البلاد. قال الإمام البَغَوِيّ: وهذا قول الأكثر.

(٢) يقال لها: العُظْمى، وبدر القتال، ويوم الفُرْقان، كما رواه ابنُ جرير وابن المُنْذِر، وصَحَّحه والحاكم عن ابنِ عباس، قال: لأن الله تعالى فَرَّق فيه بين الحقِّ والباطل. وهي الوقعة العظيمة التي أعزَّ الله تبارك وتعالى بها الإسلام، ودفع الكفر وأهله، وجَمَعت الآياتِ الكثيرة والبراهين الشهيرة؛ وليحقق الله تعالى ما وعدهم من إحدى الطائفتين، وما أخبرهم به من مَيْلهم إلى العير دون الجيش، ومَجيء المطر عند الالتقاء، وكان للمسلمين نِعمة وقوة، وعلى الكفار بلاءٌ ونِقْمة. وإمداد الله تعالى المؤمنين بجُنْد من السماء حتى سَمِعوا أصواتهم حين قالوا: أقدِمْ حيزوم، ورَأوا الرءوس تتساقط من الكواهل من غير قطع ولا ضرب، وأثَرَ السِّياط في أبي جهل وغَيْره، ورمى رسول الله ـ ﷺ ـ المشركين بالحصا والتُّراب حتى عَمَّت رَمْيَتُه الجميع، وتقليل المشركين في أعْين المسلمين، ليزيل عنهم الخوف، ويشجعهم على القتال، وإشارة المصطفى ﷺ إلى مصارع المشركين بقوله: هذا مصرع فلان، هذا مصرع فلان، فرأى المسلمون ذلك على ما أشار إليه ﷺ وذكره، وقوله لعقبة بن أبي معيط: إن وجدتُك خارج جبال مكة قَتلْتُك صَبْراً، فحقق الله تعالى ذلك، وإخبار عمه العباس بما استودع أُم الفضل من الذهب، فزالَت شبهةُ العباس في صدقه وحقيقة نبوته، فازداد بصيرة ويقيناً في أمره، وتحقيق الله تبارك وتعالى وعدَه للمؤمنين؛ إذ يقول: ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٠] فأعطى العبّاس بدل عشرين أُوقية عِشرين غلاماً يتَّجرون له بماله. وإطلاع الله تعالى رسوله على ائتمار عُمَير بن وهب وصفوان بن أُمية بمكة على قَتْلِه ﷺ، فعصمه الله تعالى من ذلك وجَعَله سبباً لإسلام عُمَيْر بن وهب، وعاد إلى مكة داعياً إلى الإسلام. إلى غير ذلك من الآيات والمعجزات التي أعطاها الله لرسول الله ﷺ، وأراها مَنْ معه من المؤمنين فزداتهم بَصيرة وَيَقيناً.

ورَدَّ عَيْن قتادة بعدما سالت عن خدِّه، والصحيح أن ذلك كان في أُحد. وكانت غزوة بدر الكبرى أكرمَ المَشاهِد.

قال ابن إسحاق: فحدَّثني محمد بن مُسْلِم الزُّهْرِيُّ، وعاصمُ بن عمر بن قَتَادَةَ، وعبد الله بن أبي بكر، ويزيدُ بن رُومَانَ، عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، وغَيْرُهُمْ من علمائنا، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كُلٌّ قد حَدَّثَني بعضَ الحديث، فاجتمع حديثهم فيما سُقْتُ من حديثِ بَدْرٍ، قالوا:

رسول الله يندب المسلمين للخروج على عير قريش

لما سمع رسولُ الله ـ ﷺ ـ بأبي سفيان مُقْبِلاً من الشَّأم نَدَبَ المسلمين إليهم، وقال: «هٰذِه عِيرُ قُرَيْشٍ فِيهَا أَمْوَالُهُمْ؛ فَاخْرُجُوا إِلَيْهَا لَعَلَ اللَّهَ يُنَفِّلُكُمُوهَا» فانتدب الناسُ؛ فخفَّ بعضهم وثَقُلَ بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسولَ الله ـ ﷺ ـ يَلْقَى حَرْباً.

أبو سفيان يعلم تهيؤ رسول الله فيرسل لقريش يستنجدهم

وكان أبو سفيان ـ حين دنا مِنَ الحجاز ـ يَتَحَسَّسُ الأخبارَ، ويسأل مَنْ لَقِيَ من الرُّكْبانِ؛ تَخَوُّفاً على أمر الناس، حتى أصاب خَبَراً من بعض الرُّكْبَانِ أن محمداً قد اسْتَنْفَرَ أصحابه لك وَلِعيرِكَ، فَحَذِرَ عند ذلك، فاستأجر ضَمْضَمَ بن عمرٍو الْغِفَارِيَّ، فبعثه إلى مكَّة، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمداً قد عَرَضَ لنا في أصحابه، فخرج ضَمْضَمُ/ (١٢٥/ب) بْنُ عمرٍو سريعاً إلى مكة [٤٨٥].

ذِكْرُ رؤيَا عَاتِكَةَ بِنْتِ عَبْدِ المُطَّلب

قال ابن إسحاق: فأخبرني من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عباس، ويزيدُ بن رُومان، عن عُرْوَة بن الزُّبَيْر، قالا: وقد رأتْ عاتكة بنت عبد المطلَّب قبل قُدُوم ضَمْضَم مكَّةَ بثلاثِ ليالٍ رؤيا أفزعتْهَا، فبعثتْ إلى أخيها العَبَّاس بن عبد المطلَّب، فقالَتْ له: يا أخي، واللَّهِ لقد رأَيْتُ الليلةَ رؤيا لقد أفْظَعَتْنِي[1] وتَخَوَّفْتُ أن يدخُلَ على قومك منها شَرٌّ ومصيبةٌ، فاكْتُمْ مني ما أحدِّثُكَ به، قال لها: وما رَأَيْتِ؟ قالتْ: رأيتُ راكباً أَقْبَل على بعيرٍ له حتى وقف بالأبطح، ثم صَرَخَ بأعلى صوته: أَلاَ انْفِرُوا يا آلَ غُدَرَ لِمَصَارعكم في ثلاثٍ، فأَرَى الناسَ اجتمعوا إليه، ثم دَخَلَ المسجدَ والناسُ يَتْبَعُونَهُ، فبينما هم حَوْلَهُ مَثَلَ

---

[٤٨٥] أخرجه ابن جرير في تاريخه (٢/ ٤٢٧) بسنده إلى ابن إسحاق به.
وذكره ابن كثير في البداية (٣/ ٣١٣ ـ ٣١٤).
وذكره ابن يوسف الصالحي في سبل الهدى (٤/ ١٨).

---

(١) أَفْظَعَتني، معناه: اشْتَدَّت عَلَيَّ.

به[1] بعيره على ظهر الكعبة، ثم صَرَخَ بمثلها: ألاَ انفروا يا آل غُدَرَ لمصارعكم في ثلاثٍ؛ ثم مَثَلَ به بعيره على رأس أبي قُبَيْسٍ، فصرَخَ بمثلها، ثم أخذ صَخْرَةً فأرسلها، فأقبلَتْ تَهْوِي حتى إذا كانَتْ بأسفل الجبل ارْفَضَّتْ[2]: فما بقي بيْتٌ من بيوت مكَّةَ ولا دارٌ إلا دخَلَتْهَا منها فِلْقَةٌ، قال العباس: واللّهِ إنَّ هذه لرؤيا، وأنْتِ فاكتميها ولا تذكريها لأحد.

العباس يقص رؤيا عاتكة على عتبة بن ربيعة

ثم خرج العباسُ فلقي الوليدَ بْنَ عُتْبَةَ بْنِ ربيعة، وكان له صديقاً فذكرها له، واستكتمه إياها، فذكرها الوليدُ لأبيه عُتْبَةَ، ففشا الحديثُ بمكة، حتى تحدَّثَتْ به قريشٌ في أنديتها.

أبو جهل يندد بالعباس وعاتكة

قال العَبَّاس: فَغَدَوْتُ لأَطُوفَ بالبيت، وأبو جَهْلِ بْنُ هشام في رَهْطٍ من قريشٍ قُعُودٌ يَتَحَدَّثُونَ برؤيا عاتكَةَ، فلما رآني أبو جهل قال: يا أبا الفَضْلِ، إذا فَرَغْتَ من طوافك فأقبل إلينا، فلما فَرَغْتُ أقبلتُ حتى جلست معهم، فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المُطَّلِب، متى حَدَثَتْ فيكم هذه النَّبِيَّةُ؟! قال: فقلتُ: وما ذاك؟! قال: تلك الرؤيا التي رأتْ عاتكةُ، قال: قلتُ: وما رأَتْ؟! قال: يا بني عبد المطلب! أما رَضِيتُمْ أن يتنبأَ رجالُكُمْ حتى تتنبأَ نساؤكم؟! لقد زَعَمَتْ عاتكةُ في رؤياها أنه قال: انفروا في ثلاثٍ فَسَتَرَبَّصُ بكم هذه الثلاثَ، فإنْ يَكُ حَقًّا ما تقولُ فسيكونُ، وإنْ تَمْضِ الثلاثُ ولم يَكُنْ من ذلك شيء، نَكْتُبْ عليكم كتاباً أنَّكُمْ أكْذَبُ أهلِ بيتٍ في العرب.

قال العباس: فوالله ما كان مني إليه كَبِيرٌ، إلا أنِّي جَحَدتُ ذلك وأنكرتُ أن تكون رأتْ شيئاً.

قال: ثم تفرَّقنا، فلما أمْسَيْتُ لم تَبْقَ امرأةٌ من بني عبد المطلب إلاَّ أتَتْنِي، فقالت: أقررتُمْ لهذا الفاسقِ الخبيثِ أن يَقَعَ في رجالكم، ثم قد تناوَلَ النساءَ وأنْتَ تسمع، ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعْتَ، قال: قلت: قد والله، فَعَلْتُ ما كان منِّي إليه مِنْ كبيرٍ، وأيْمُ اللّهِ، لأتَعَرَّضَنَّ لَهُ، فَإنْ عَادَ لأَكْفِيَنَّكُنَّهُ.

العباس يحاول أن يتعرض له أبو جهل لينتقم منه

قال: فَغَدَوْتُ في اليوم الثالثِ من رؤيا عاتكَةَ، وأنا حَديدٌ مُغْضَبٌ، أَرَىٰ أني قد فاتني منه أَمْرٌ أُحِبُّ أن أدركه منه، قال: فدخلْتُ المسجد، فرأيته، فوالله إني لأمشي نحوه

---

(١) مَثَل، معناه: قام به بَعِيرهُ.

(٢) ارفَضَّت معناه: تَفَتَّتْ.

أَتَعَرَّضُهُ ليعودَ لبعض ما قال فأَقَعَ به، وكان رجلاً خفيفاً، حديدَ الوجهِ، حَدِيدَ اللسانِ، حديدَ النَّظَرِ، قال: إذْ خَرَجَ نَحْوَ باب المسجد يَشْتَدُّ قَالَ: فقلتُ في نفسي: ما له لَعَنَهُ الله؟! أَكُلُّ هذا فَرَقٌ مني أن أشاتمه؟!

ضمضم بن عمرو يستصرخ قريشاً

قال: وإذا هو قد سَمِعَ ما لم أَسْمَعْ صَوْتَ ضَمْضَم بنِ عمرٍو الْغِفَارِيِّ، وهو يَصْرُخُ بِبَطْنِ الوادي واقفاً علَىٰ بعيره قد جَدَعَ بَعِيرَه[1]، وحَوَّلَ رَحْلَهُ، وشَقَّ قميصَه، وهو يقول: يا مَعْشَرَ قريشٍ، اللَّطِيمةَ اللَّطِيمةَ[2] أموالَكم مع أبي سفيان، قد عرض لها محمد في أصحابه/ (١٢٦/أ)، لا أرى أن تدركوها، الْغَوْثَ الْغَوْثَ.

قريش تنفر لملاقاة النبي وأصحابه

قال: فَشَغَلَني عنه وشَغَلَهُ عني ما جاء من الأَمْرِ، فتجهَّز الناس سِرَاعاً وقالوا: أيظنُّ محمد وأصحابه أن تكون كعِيرِ ابن الْحَضْرَمِيِّ؟! كلا والله لَيَعْلَمُنَّ غَيْرَ ذلك، فكانوا بَيْنَ رجلين؛ إمَّا خارج، وإما باعثٌ مكانَهُ رجلاً، وأَوْعَبَتْ قريش، فلم يتخلَّفْ من أشرافها أحد. إلا أن أبا لَهَب بن عبد المطلب قد تخلَّف وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة، وكان قد لأَطَ[3] له بأربعةِ آلافِ درهم كانَتْ له عليه أَفْلَسَ بها؛ فاستأجره بها على أن يُجْزِيَ عنه بَعْثَهُ، فخرج عنه وتخلَّف أبو لهب [٤٨٦].

---

[٤٨٦] أخرجه ابن جرير في تاريخه (٢/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩) والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٩ ـ ٣٠) والحاكم في المستدرك (٣/ ١٩ ـ ٢٠) بأسانيدهم إلى ابن إسحاق به وذكره ابن الأثير في أسد الغابة (٧/ ١٨٣ ـ ١٨٤) في ترجمة عاتكة بنت عبد المطلب، وابن سعد في الطبقات (٨/ ٣٦) وذكره ابن حجر في الإصابة في ترجمة عاتكة رقم (١١٤٥٥) ورواه الطبراني في الكبير (٢٤/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥) رقم (٨٥٩) من طريق مسعده بن سعد العطار ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال: ثنا عبد العزيز بن عمران ثنا محمد بن عبد العزيز عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن عن أمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط عن عاتكة بنت عبد المطلب.
وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٧١): «وفيه عبد العزيز بن عمران وهو متروك» أهـ.
ورواه في الكبير أيضاً (٢٤/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧) رقم (٨٦٠) عن عروة مرسلاً.
قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٧١) رواه الطبراني مرسلاً وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن» أهـ.

---

(١) جَدَعَ بَعِيرَه معناه: قَطعَ أنفَه.
(٢) اللَّطِيمةُ: الإبل التي تَحْمِل البُرَّ والطيبَ.
(٣) لأطَ، مَعْناه هنا: احْتَبَس، ويقال: لأط حُبُّه بِقَلْبي: إذا لَصِقَ به.